

الفصل الثالث

التوجيه الإسلامي

لترشيد استغلال الوقت وتخصيصه

مقدمة:

يعتبر الوقت في نظر الإسلام عنصراً اقتصادياً السمات والخصائص؛ فهو بطبيعته رزق، ومورد متاح للإنسان ومحسوب عليه. وهو مورد متآكل يبدأ كبير الحجم والقيمة مع بداية مولد الإنسان. ثم يتناقص تدريجياً حتى ينتهي بانتهاء أجل ذلك الإنسان. وكل وحدة زمنية من ذلك الوقت تنقص لا يمكن استبدالها أو تعويضها. كما أنه من المستحيل التحكم في عملية الانقضاء المستمر للوقت أو إيقافه عند نقطة زمنية معينة. لهذا فقد شدد الإسلام على ضرورة استغلال الإنسان لما متاح له من وقت (وهو ذلك الوقت الذي يناهز عمر بقائه على أرض الحياة) بشكل رشيد ويتجلى ذلك المعنى في الحديث الشريف «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه. وعن جسمه فيما أبلاه» (سنن الترمذي، صحيح الجامع الصغير وزیادته، ج ٢، ٧٣٠٠ - ٢٥٣١).

وكما أوضحنا في بداية الدراسة، فإن الوقت في الإسلام يعتبر من الأشياء المقدسة التي يجب التعامل معها بكل الجدية والإجلال والاحترام. لذا، فالإنسان ليس حراً في كيفية قضاءه وفقاً لأهوائه الشخصية أو لمصالحه المادية البحتة، بل إن هناك محددات وضوابط شرعية معينة توجه الإنسان ولا بد أن يقضى وقته في أطرها حتى وإن كان ذلك يتعلق بما يسمى بوقت الفراغ. فإن كان الاقتصاد الوضعي - أو العلم الوضعي بوجه عام - يعتبر وقت الفراغ وقتاً (حراً) يمكن للإنسان أن يقضيه كيفما شاء ووفقاً لرغباته الشخصية فإن الإسلام اعتبر وقت الفراغ في حد ذاته عنصراً اقتصادياً نادراً ويستحث الإنسان على ضرورة قضاء ذلك الوقت أيضاً بطريقة رشيدة حتى لا يصاب بعواقب سوء استغلاله له. وعلى الرغم من سماح الإسلام للإنسان بإمكانية (اللهو) في خلال ذلك الوقت، إلا أنه يختلف كثيراً في مقصوده وطبيعته عما يراه العلم الوضعي ويقره.

وبالتأمل المتعمق في الجوانب المختلفة للمنظور الإسلامي لعنصر الوقت، ووفقاً للتصور المتسلسل المنطقي لتلك الجوانب، سيتم عرض الفصل الحالي بالبداية بالتحدث عن نسبية الوقت كظاهرة تستحق التوقف عندها لدواعي الاعتاظ والحيلة، وفي جزء تالي يتم استعراض بعض القواعد والضوابط العامة التي يمكن الاسترشاد بها وإتباعها لاستغلال الوقت المتاح في أفضل صورة ممكنة، وبمزيد من التفصيل المتعمق نتقل في الجزء الثالث إلى التعرف على الدور الجوهرى الذي

يمكن أن تلعبه العبادات فى عملية تنظيم وقت الإنسان وترتيب خط سير أعماله، ونتيجة للمعالجة الإسلامية المختلفة والتميزة لوقت الفراغ فسوف يتم إفراد جزء رابع مستقل لمناقشة ذلك الموضوع مع توضيح أنواع اللهو المباح الذى يسمح للإسلام للإنسان بها والحدود التى يجب على الإنسان ألا يتعدها فى ذلك الصدد. وحتى تكتمل الصورة المستهدفة وتصبح فى أفضل وضع توضيحي لها، فسوف يضاف إلى ما سبق جزءان آخران، نعرض فى إحداهما الوقت فى حياة الأنبياء الذين يمثلون صفوة البشر والقدوة الحسنة النموذجية لكل البشر، ونقدم فى الآخر بعض المقتطفات الهامة مما ورد فى التراث الفكرى الإسلامى القديم حول ذلك الموضوع على سبيل الاستئارة بذلك الخط الفكرى الراقى وإحياء لدوره الكامن فى طى الإهمال البشرى المتعمد أو العفوى. ولنبدأ جولتنا الفكرية الاستكشافية والاسترشادية مع ذلك المنظور الفكرى النموذجى.

١/٣: نسبة الوقت: الواقع أن الإحساس بمدى طول/ أو قصر الوقت ومدى أهمية الإنجازات التى تتحقق فى خلال فترة زمنية معينة. يمكن أن يختلف ليس فقط من شخص إلى آخر أو من مجتمع إلى آخر. بل إنه يمكن أن يختلف أيضاً من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان.

فما من شك فى أن منظور الجاهل إلى الوقت يختلف عن منظور العالم إليه، وفى أن الملتزم بأداء أعمال تراكمية كثيرة وشاقة يحتاج إلى كل لحظة من الوقت ودائماً ما يرى أن الوقت قصير وغير كاف لأداء

التزاماته، بينما يمكن للعاطل أو للمتكاسل أو للمهمل، أو للقائم بهام بسيطة نسبياً أن يعتبر ذات الفترة الزمنية المتاحة له أنها طويلة جداً ويتمنى انقضائها بسرعة تغلباً على ما يمكن أن يعانيه من مشاعر الملل والإحساس بفراغ أجوف يعجز عن سده بأسلوب يرضيه. وعلى المستوى المكاني نجد مثلاً أن هناك بقاع في الأرض يطول نهارها وتسطع فيها الشمس بإشراقاتها وبدفئها المحب لفترات طويلة مما يتيح للبشر وقتاً طويلاً (نسبياً) لقضاء الأنشطة والحاجات المعيشية والترفيهية أيضاً. وفي نفس الوقت توجد دول تعاني من المغيب الغالب للشمس عنها وبالتالي يكون ليها أطول من نهارها مما يجعل الوقت لديها يبدو قصيراً مقارنة بالوضع المذكور سابقاً. أما على المستوى الزمني، فيلاحظ أن الوقت المعاصر يبدو أقصر بكثير مما كان عليه ذات الوقت الزمني في سنوات مضت. وذلك ما سوف يتم توضيحه بشكل أكثر تفصيلاً بالاستعانة بالأدلة الشرعية التي وردت في ذلك الصدد وبالاستئارة بما تضمنته من توجيهات نبوية ومسلمات.

أولاً: كل وقت الدنيا لا مقياس يذكر له مقارنة بوقت الآخرة:

وذلك يمثل أحد المسلمات التي لا يستطيع أي إنسان رشيد أن يجادل في صحتها. والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: ٤٧). كما يتضح القصر المتناهي لكل وقت الحياة الدنيا مقارنة بوقت الآخرة من قوله

تعالى: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ» (يونس: جزء من الآية ٤٥). وتتأكد ذات الصورة البديهية من خلال عدد كبير من الآيات التي يصعب حصرها في ذلك المقام، وكذلك من خلال الأحاديث النبوية الصحيحة مثل قول النبي ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشى أحدكم إلى اليم، فأدخل إصبه فيه، فما خرج منه فهو الدنيا» (عن المستورد، للحاكم، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج-٢، ٥٥٤٧)، كما تتجلى تلك الحقيقة التي لا تخفى على أى إنسان عاقل فى صورة تمثيلية رائعة نجدها فى الحديث الشريف عن ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ قال: «مالي وللدنيا، وما للدنيا ومالي! والذى نفسى بيده، ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار. ثم راح وتركها» (أحمد بن حنبل، والحاكم، صحيح الجامع الصغير وزيادته. ج-٢، ٥٦٦٩-١٨٣٤).

أما الأمر المبهج حقاً، فهو أن من ينعم الله سبحانه وتعالى على خلقه بالجنة فى الآخرة، ستلبى له كل رغباته أيّاً كانت فى وقت بالغ القصر مقارنة بما يحدث فى حياتنا الدنيا، فاشتفاء الإنجاب فى الدنيا إن تحقق يستغرق فى المتوسط تسعة أشهر بخلاف أعداد إضافية من الأعوام اللازمة للرضاعة وللتسنين.. بينما لا يستغرق كل هذا فى الجنة سوى ساعة واحدة مصداقاً لقول الرسول ﷺ «المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة، كان حمله ووضعهُ وسِنه فى ساعة واحدة، كما يشتهى» (عن

ابن سعيد، أحمد بن حنبل، التردى، ابن ماجه، صحيح ابن حبان في
صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٦٤٩

ثانياً: الارتباط بين الشعور بالوقت؛ والحالة المزاجية؛ وطبيعة الأحداث: فمن الملاحظ أن الوقت العصيب الذى تتخلله أحداث غير سارة أو الذى يقضيه الإنسان وهو فى حالة مزاجية سيئة، يبدو طويلاً جداً على المرء. وفي تلك الحالة، تتباطأ الثوانى والدقائق فى انقضائها ومرورها، وتكاد الساعات تبدو ثابتة لا تتحرك من وجهة نظر الإنسان الذى يعيش فى ظل تلك الأحداث أو تلك الحالة المزاجية المتعكرة. وبطبيعة الحال، فإن من أطول الأوقات العصيبة التى ستمر على الإنسان بدون شك هو يوم القيامة ووقت الحساب وإن كان الوقع السئى لذلك الوقت العصيب والإحساس بطوله يختلف بين الكفار والجرمين من ناحية، وبين المؤمنين من ناحية أخرى، حيث سيكون الإحساس بطول ذلك الوقت أخف وطأة على المؤمنين مقارنة بوضع غيرهم. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ (يونس: جزء من الآية ٤٥). بينما يتضح لطف الله سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين من خلال أحد مظاهر ذلك اللطف وهو تقصير مدة ذلك الوقت العسير عليهم. فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر» (الحاكم، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٨١٩٣-٣٢٦٧).

ثالثاً: بركة الوقت: اعتاد الغالبية العظمى من الناس أن يستخدمون كلمة (بركة) كتعبير معنوي محفز بشكل سطحي، بدون التعمق الكافي لاستنباط ما ينطوي عليه ذلك المفهوم من دلالات ذات أهمية متميزة في حياة الإنسان خاصة فيما يتعلق بالمتاح الفعلي له من وقت وإنجازاته المختلفة التي يحققها في خلال فترته. وعنصر البركة تفوق أهميته (الكثرة المطلقة) لأنه يعني -في اللغة النماء والزيادة والسعادة أيضاً. فإذا توافر للإنسان الكثرة المطلقة في رزق ما ولم تتوافر فيه سمات البركة ومنافعها يكون الاحتمال الأكبر عدم تمتع ذلك الإنسان بما حصل عليه وتملكه بالشكل الأمثل، بل إن الشيء المنزوع منه البركة يمكن أن يتحول إلى نقمة على صاحبه. فإذا ما تصورنا - على سبيل المثال- أن هناك شخصاً يتمتع - في الظاهر- بامتلاك مال وفير وزوجة وأولاد... الخ ولكن كان ماله هذا يكتسب من مصادر محرمة؛ فالاحتمال الأكبر أن يضيع الله عليه سعادته بكل ما حصل عليه من نعم ظاهرة وذلك بانتزاع البركة من ذلك المال والحال كأن يصاب أحد أولاده بمرض الإدمان فيقوم بسرقة أمواله ويهدد أمن كل أفراد الأسرة، أو أن يصاب المرء بأحد الأمراض المستعصية التي تعجزه عن الحركة أو عن حرية تناول الطعام المعتاد كما يشتهي ويرغب.

والواقع أن تأثيرات عنصر البركة يمكن أن تشمل أيضاً الوقت الذي يعيشه الإنسان، حيث يمكن التعرف على التأثيرات المختلفة لعنصر البركة التي ترتبط بالوقت الزمني وقياسها من خلال تحديد

حجم ونوع الإنجازات التي يتم تحقيقها بالفعل في خلال وحدة أو فترة زمنية محددة.

وعلى عكس الشعور بالألم وبالتضرر وبالضيق من طول الوقت الذي يشهد أحداثاً غير سارة، فإن الإنسان يحتاج عادة إلى وقت طويل نسبياً - وبشكل مطلق أيضاً - لكي يتمكن من إنجاز أعماله وتحقيق طموحاته وآماله المتجددة والمستمرة. وما من شك في أن قصر الوقت يعتبر من معوقات سير الحياة بأسلوبها المعتاد أو المستهدف بالنسبة للمرء وللمجتمع أيضاً. وتزداد تلك المشكلة حدة كلما ارتفعت درجات الطموحات وتعددت الأهداف البشرية على مستوى الفرد والمجتمع. ومن هنا يمكن أن نتصور ما قد يحدث من مشاكل إذا سادت مشككة (قلة البركة في الوقت الزمني المتاح)، وما من شك في أن المشكلة تبلغ مداها المستعصى إذا ما عمت تلك البركة القليلة أو شبه المعدومة للوقت المتاح للعالم أجمع.

والواقع أن ما ذكرناه توّاً ليس من نسج الخيال العفوى، وإنما دفعنا إلى ذكره والتنويه إلى خطورته كظاهرة يمكن أن نعم العالم أجمع ما جاء بالحديث الشريف: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان. فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالصرمة^(١) بالنار»^(١) أي الجمرة. عن أنس؛ أحمد بن حنبل؛ الترمذى؛ صحيح الجامع الصغير وزيادته؛ ج-٢، ٧٤٢٢-٢٦٠٢).

وعلى أية حال، فقد أُرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى إحدى الوسائل الهامة للتغلب على ظاهرة قلة البركة التي تعاني منها البشرية جمعاء فى وقتنا الحالى، وهى أن يبدأ الإنسان فى ممارسة عمله وأنشطته فى وقت مبكر وذلك كما جاء فى الحديث الشريف: «بورك لأمتى فى بكورها» (الطبرانى فى الأوسط، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٢٨٤١).

وبالإضافة إلى تلك الوسيلة الإنمائية للوقت، فإن هناك مجموعة أخرى من التوجيهات التى يمكن استنباطها من خلال التعرف على الدور التنظيمى والتوجيهى الذى تقوم به العبادات لوقت الإنسان وهو ما سوف يتم تناوله بمزيد من التفصيل فى جزء لاحق وشيك. ومع هذا، فهناك مجموعة من القواعد العامة التى تضمنها التوجيه الإسلامى لترشيد عملية قضاء الوقت واستغلاله بأفضل صورة ممكنة. وذلك ما يمكن التعرف عليه فى الجزئين التاليين.

٢/٣: بعض القواعد العامة لترشيد استغلال الوقت ولتعظيم منفعته: استكمالاً لما تقدم، نود توجيه تساؤل هاماً إلى العلماء الماديين وغيرهم من العامة الذين يمرّون بالأحداث وبمحطات الحياة بتلقائية سطحية يعوزها التأمل والتدبر: ألم يلاحظوا بعد أن العالم قد أصبح تسوده الآن - وبالفعل- ظاهرة تقارب الأوقات الزمنية؛ وازدياد ذلك التقارب مع كل يوم يمرّ من عمر البشرية؟! الواقع أن الدلائل تشير إلى اليقظة البشرية المتزايدة التى أصبحت تعبر عن انتباهها لحدوث تلك

الظاهرة المقلقة بل والمخيفة، وذلك من خلال بعض المقولات التي أصبحت شائعة على ألسنة كثير من الناس مثل قول (الوقت لم يعد فيه بركة) أو قول (رمضان كأنه انتهى بالأمس .. كيف عادة ثانية بتلك السرعة؟!).

لقد قصدنا بذلك الاستدراك أن نؤكد على ضرورة الإدراك الكافي بأن الوقت قد أصبح عنصراً اقتصادياً متزايد الندرة، ويكاد لا يكفي لتحقيق كل ما يطمح إليه الإنسان، بل ولتوفير كل احتياجاته التي تمكنه من الثبات والبقاء في دني المتغيرات اللاهثة التي أصبحنا نعيش في ظلها - أو بالأصح- ننحصر داخل أسوارها الشائكة حيث تزداد معاناة الدول النامية والصغيرة من تلك المشكلة أكثر من غيرها نتيجة لعدم إدراكها لكيفية الاستخدام الرشيد للمتاح لها من وقت سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو على مستوى المجتمع ككل.

وعلى أية حال، فما زالت هناك بوارق أمل تنعش آمالنا في استدراك ما فاتنا من وقت مهدر وضائع بمحاولة تعظيم منافع وقتنا الحالى والمستقبلى وجنى ثمار إيجابية تعويضية لما خسرناه من قبل، وتمثل بوارق الأمل المذكورة - فى جانب منها- فى مجموعة القواعد العامة التى يمكن استنباطها من الأصول الشرعية النموذجية والاستعانة بها فى تعظيم المنفعة الاستغلالية لعنصر الوقت المتاح. وفيما يلي بعض من تلك القواعد العامة، والمهمة.

أولاً: توخى الحرص التام على استغلال كل لحظة متاحة للإنسان
فى أى عمل مفيد:

ولا يقصد بذلك العمل التكسبى فقط، وإنما المقصود بذلك
العمل المفيد أنه ذلك العمل الذى (يتضمن إضافة إيجابية مضمونة
للإنسان فى دنياه أو أخراه) والعمل المفيد يعتبر فى الواقع رباعى
الأبعاد حيث يقوم على تقوية البدن وتقوية الروح وتقوية العقل
وتحسين الحالة المعنوية.

ومن الأشكال التى يمكن أن تمثل أعمالاً مفيدة، تلك التى تساعد
على إعداد الجسم والنفس للقيام بالأعمال المعيشية وتحسين مستويات
أدائها وتدريبهما على تحقيق ذلك الهدف مثل ممارسة رياضات
مفيدة، والحصول على قدر كاف ومناسب من النوم. وإعداد وتناول
الطعام والشراب المناسبين، والتداوى الوقى أو الكافى عند الحاجة.
وبالإضافة إلى تلك الأمثلة من الأشكال التى تنطوى على فوائد نفعية
ذاتية للمرء، فهناك أشكال أخرى من الأعمال المفيدة للغير التى
يمكن - فى غالبية الأحوال- أن ترتد بمنافعها على ذات المرء فى دنياه
وأخراه أيضاً مثل مساعدة الغير على قضاء حوائجهم والوفاء
بمقتضيات صلة الرحم. وسوف يتم الحديث عن أشكال أخرى من
تلك الأعمال المفيدة فى الجزء المتعلق بالعبادات كمنظم لوقت الإنسان
وذلك فى جزء لاحق وشيك إن شاء الله.

وعلى العكس مما سبق، فلا بد من تجنب - ما أمكن - التعرض للوقت العقيم أو الوقت الصفرى، والحذر الشديد من الوقوع في شرك الوقت السلبي. حيث نقصد بالوقت العقيم أو الصفرى ذلك الوقت الذى يتاح للإنسان أو الذى يمر من عمر الإنسان بدون القيام فى خلاله بأى عمل مفيد - على النحو الموضح سابقاً - وبالتالي فإن الإنسان يظلم نفسه بعدم استغلال ذلك الرزق الذى منحه له إياه بما قد يمكنه من إضافة المزيد من المنافع إلى رصيده الدنيوى أو الأخرى حيث يمكن أن نستقرئ ذلك المعنى من الحديث الشريف: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (عن ابن عباس: البخارى، الترمذى، ابن ماجه، فى صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٧٧٨). أما الوقت السلبي فينطوى على آثار أكثر خطورة يمكن أن تؤدى إلى الإضرار بالإنسان بدرجات متفاوتة يمكن أن تصل إلى هلاكه وتدميره التام، وذلك مثل قضاء الوقت فى تعاطى المخدرات أو فى إقامة علاقات محرمة مع الآخرين، أو فى ارتكاب أى شكل من أشكال الانحراف التى لا تعد ولا تحصى. بل إن الوقت السلبي المنذر بالإضرار بصاحبه يمكن أن يتمثل فى عدم اتخاذ موقف إيجابى حيال معصية ظاهرة تصدر أمام المرء من الغير أو فى مجرد العزوف عن مساعدة الآخرين فى استرداد حقوقهم أو فى تجاهله لواجبات أداء حوائج الناس التى تتطلب المساعدة (مع توافر المقدرة على ذلك) حيث يتضح ذلك من قول رسول الله ﷺ: «لا بأس، ولنصر الرجل

أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه، فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره» (عن جابر، مختصر مسلم، ١٨٣٢) كما يقول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (عن أبي سعيد، مختصر مسلم، ٣٤).

أما عن وجوب قضاء حوائج الآخرين فيتضح من قول الرسول ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» (عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، مختصر مسلم ١٨٣٠). وتتأكد أهمية ردع الظالم حتى للغير، وسوء عاقبة من لا يفعل ذلك على الرغم من قدرته عليه من قول النبي ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه. أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» (عن ابن بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سنن داود الترمذى وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج١، ١٩٧٣).

أما الدلائل الشرعية المباشرة على حتمية الاستمرارية في القيام بأعمال إيجابية وعدم الانقطاع عنها بقدر الإمكان فنجدها على سبيل المثال في الحديث النبوي الذي أُرشدنا إليه سابقاً: «لا تزول قدم عبدٍ حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيما فعل به.

وعن ماله من أين اكتسبه، وعن جسمه فيم أبلاه» (سنن الترمذى، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٧٣٠٠ - ٢٥٣١).

كما أن هناك حديثاً آخرأ يؤكد على حتمية بيمومة العمل الإيجابى خاصة فيما يتعلق بإعمار الأرض وتحسين أحوال البشر والمخلوقات الأخرى، حتى إن كان ذلك في آخر لحظات عمر الإنسان وإشرافه على الموت، بل حتى ولو تيقن للإنسان أن هناك دماراً سيلحق بالكون مثلما سيحدث في يوم القيامة حيث إن العبرة هنا أن الإنسان بمحدودية علمه وقدراته لا يستطيع أن يتيقن من لحظة النهاية الفعلية للكون، كما أنه عندما يقوم بتلك الأعمال الإيجابية بدون انقطاع، إنما يفيد نفسه بالدرجة الأولى وذلك بزيادة حسناته من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الإنسان سيعتث على آخر وضع كان عليه، من أجل هذا دائماً ما يفضل للمرء أن يداوم أيضاً على الدعاء بحسن الخاتمة. وفى ذلك يرشدنا التوجيه النبوى بالحديث الشريف: «إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها» (أحمد بن حنبل، البخارى فى الأدب، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٤٢٤).

ثانياً: من أجل تقليل الفاقد من الوقت المتاح حالياً إلى أدنى مستوى ممكن:

جرت العادة البشرية على تأثر السلوكيات والقرارات والإنجازات الجارية للإنسان ليس فقط بمجريات الأمور والمتغيرات

الحالية، بل أيضاً يمتد هذا التأثير إلى ما انقضى فى الماضى من أحداث ومتغيرات حتى إن لم يكن لها علاقة بتلك الأمور الحالية، وفى غالبية الأحوال يمتد ذلك التأثير إلى أحداث المستقبل ومتغيراته غير المؤكدة.

وقد يكون الماضى مفيداً فى إتاحة صور واضحة عن تجارب كاملة حدثت بالفعل مما يساعد المرء على الاستنارة بما تتضمنه من دروس مستفادة، وعلى الاقتداء بالجوانب الإيجابية الكامنة فى تلك التجارب وتجنب جوانبها السلبية التى تغنيه عن تكرار الوقوع فى مثل تلك الأخطاء التى اتضحت بالفعل من التجارب الماضية، وكذا، تدينه الوقت لإصلاح الآثار السيئة لمثل تلك الأخطاء. وبكلمات أخرى، فإنه يمكن للإنسان أن يلتفت إلى أحداث الماضى وتجاربه فقط بوصفها تجارب إرشادية تعليمية تدرية تساعد المرء على تحسين أسلوب الاستغلال الحالى للوقت. أما أن يحرص الإنسان على العيش فى تجارب الماضى والإصرار على إدخالها برمتها فى تسيير أمور حياته فذلك لا يقبل من وجهة النظر الاقتصادية ولا المنطقية لأنه يتناقض مع مقتضيات التطور والتغير التى تتطلبها الأحداث المعاصرة، كما أن ذلك قد يعرض الإنسان للوقوع فى براثن الكمون فى مواطن الخطأ والاستقرار بين شباكها المدمرة بدليل أن كثيراً من الآيات الكريمة دائماً تشير إلى خطأ إتباع ما كان يفعله الآباء طالما كان ضد الأحكام الإلهية والأمور المنطقية الصحيحة، ومن بين الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ (لقمان: ٢١).

أما عن المستقبل، فمن الطبيعي أن يعمل الإنسان له حساباً فى
خطته وإنجازاته ولكن يجب أن يكون ذلك على أساس من الاستتارة
بالتجارب الماضية وبتائجها المتكاملة خاصة للأفراد وللدول التى
انقضت أعمارها وأصبحت نتائج تجاربها نهائية فى إطار الأوضاع
والمفاهيم والأهداف الدنيوية فقط مع أعمال المعايير والأدوات
العقلانية والعلمية التى يمكن أن تساعد على ترشيد وضع الخطط
المستقبلية الموجهة لمجالات حياة الإنسان المختلفة. غير أن تلك الخطط
يجب أن تؤخذ كصور إرشادية متحركة ذات وجوه واحتمالات
متعددة ويرفض تماماً أن يتم اعتبارها مناهج تنفيذية نهائية جامدة
بسبب بساطة ومنطقى تماماً وهو أن الإنسان لا يعلم الغيب ولا يعلم
أى شئ عن المستقبل.. فالاستقبال بيد الله وحده.

وبناء على ما سبق، فإنه من أجل ترشيد استغلال الوقت الحالى
المتاح للإنسان وتدنية الفاقد فيه إلى أقل قدر ممكن، فإنه يجب أن يراعى
أمرين بالغى الأهمية:

١- عدم الالتفات إلى الماضى إلا مجرد الاستتارة بالدروس الفعالة
التى تفيد فى إنجازات الحاضر: وأفضل دليل توجيهى وسند قوى يدعم
صحة ذلك الجانب الموصى به هو قول الرسول ﷺ: «المؤمن القوى
خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، إحرص على ما

ينفعلك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شئ فلا تقل: لو أنى فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أحمد بن حنبل. مختصر مسلم، ١٨٤٠؛ ابن ماجه، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٦٥-٢٢٧٦).

٢- عدم السماح لسيطرة المستقبل بما ينطوى عليه من عموض ومخاوف أو أوهام هلامية على الإنجازات والقرارات الحالية ولأن المستقبل بيد الله وحده وفي إطار علم الله سبحانه فقط، فالأفضل هو بذل كل ما يستطيع المرء أن يقوم به في حدود إمكانياته وقدراته الحالية؛ بما تسمح به الأحكام الشرعية الغراء (التوكل على الله) تاركاً النتائج المستقبلية على الله فهو وحده سبحانه صاحب القرار الحقيقي في شأنها. وبكلمات أخرى يجب على الإنسان التوكل الحقيقي على الله والبعد التام عن التواكل الذي يوقعه في برائن التخلف والتدمير البشري الذاتى.

وفي ذلك نجد دليلاً نبوياً توجيهاً موجزاً ورائعاً، فعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «أعقلها وتوكل» (حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج ١، ١٠٦٨).

كما أن هناك حديثاً آخر شاملاً لكيفية استفادة الإنسان بالإنجازات الحالية وكيفية توظيفها واستثمارها بما يضمن تعظيم الثمار والمنافع المرجوة فى المستقبل الذى لا يملكه ذلك الإنسان، ويتضح

ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم: «اغتمم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، و فراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج ١، ١٠٧٧).

والواقع أن ذلك الحديث الشريف يمكن أن يمثل منهاجاً وقائياً فعالاً ضد المخاطر المستقبلية المجهولة وما تكتفه من مخاوف، وبكلمات أخرى، أنه يمكن أن يمثل دليلاً فعالاً لتمتع الإنسان بمشاعر الأمان والأمان ومساعدته في تدنية كثير من الوقت الضائع في التفكير في مخاوف المستقبل وما يكتفه من مجهول دائماً يلقي بظلاله الثقيلة على حياة الإنسان فيعرقل إنجازاته الحالية وقد يشل كثيراً من نشاطاته الفعالة ويوقعه في برائن الاحباط والاستسلام السلبي لمجريات الأحداث المنذرة بالدمار.. وما أكثر تواجدها في وقتنا الحالى.

والخلاصة أن على الإنسان ألا يفكر في الماضى فقد ولى، ولا يفكر في المستقبل فإنه مازال في علم الله، ولكن الأفضل هو توجيه كل التركيز والاهتمامات والطاقات إلى لحظات الحاضر فقط التى يملك الإنسان معرفتها، وإدارتها والاستفادة منها.

ويمكن أن نخلص مما سبق بقاعدة موجزة إرشادية لكيفية تدنية الفاقد من الوقت (أو الوقت الضائع) والتي تتمثل فى الكلمات الآتية:

إنس الماضي فقد ولى ولا تتذكر منه سوى نسامته
ولا تفكر فى المستقبل طالما لا تعرف أين أنت من نفعاته
وعش فقط لحظتك ووجه إليها كل الأنا ... وطاقتها
وفى ذلك قال أحد الشعراء أيضاً:

ما مضى فات والمؤمل غيب

ولك الساعة التى أنت فيها

**ثالثاً: وقت النهار للخروج والعمل الدنيوى، والمساء والليل
للاستقرار بالمنزل والنوم وللتعب:**

اعتاد بعض الناس أن يناموا فى فترة النهار، ثم يستيقظوا طوال
الليل، وذلك للقيام بأعمال تتطلب هدوءاً أو تتطلب قلة حركة من
الآخرين مثل الاستذكار والقيام بأعمال التأليف والأعمال الذهنية
الأخرى؛ والقيام بأعمال إصلاحات فى الشوارع والطرق التى
يصعب تنفيذها فى فترة النهار تجنباً لتعطيل المصالح.

غير أن هناك فئات أخرى من الناس تعتبر الليل وقتها الأفضل.
والطبيعى لممارسة أنشطتها غير المشروعة فى خلاله، استتاراً بظلمته.
وبهدأة الأقدام البشرية التى تدب خارج أماكن السكن وما فى
حكمها، ولو اذناً بغفلة العيون المستغرقة فى نوم عميق بعد مشقة نهار
كادح. ومن الأمثلة على تلك الأنشطة الليلية المشوهة والمنحرفة.

العمل في دور اللهو الليلية، أو في حالات السطو أو في كثير من أشكال الأعمال غير القانونية الأخرى.

ولقد دلنا المنهاج الإسلامي القويم على قاعدة عامة دقيقة بالغة الوضوح في كيفية التخصيص البشري المناسب للوقت المتاح، وتوزيعه بكفاءة على الاستخدامات والأنشطة المختلفة. وتقوم تلك القاعدة على أساس القيام بالعمل وبالحركة الدنيوية والمعيشية نهاراً والنوم والقيام والتعبد ليلاً، وبكلمات أخرى، فإنه من المفضل القيام بالأنشطة المادية المرتبطة بالمصالح البشرية في أثناء النهار، بينما يتم تخصيص فترة الليل لاستعادة شحن الطاقة الروحية وتدعيم الصلة والتواصل بالله وحده عز وجل، حيث أن ذلك هو الأسلوب الأمثل لتحقيق الاسترخاء المستهدف وتجديد النشاط الذي أصيب بالإرهاك من جراء اللهات المعيشي المادي والدنيوي في فترة النهار.

كما يحذر الدين الإسلامي بتوجيهاته التي لا تحتمل أى شبهة خطأ، من خروج الناس خارج منازلهم ليلاً حيث تنشط الشياطين والمخلوقات الضارة وتنتشر في الطرقات الخارجية المظلمة الهادئة، وحيث ينتشر أيضاً أشرار الناس ومنحرفوهم أيضاً وذلك احتماء بظلمة الليل وهدأته التي يتسم بها بطبيعته.

وقبل تقديم الأدلة الشرعية على ذلك، نسارع فنرد على صيحات اعتراض لابد أن تصدر من أحزاب اعتادت المعارضة كمبدأ وليس لضرورة مقنعة—فنحن نتوقع أن تتعالى بعض الصيحات

مستكرة ربط حال اليوم (الذى تنتشر فيه المصايح الكهربائية والإضاءات الليلية المبهرة فتحيل الطرق إلى نهار ساطع): بالأمس الذى لم تكن مثل تلك الوسائل المستحدثة للإضاءة متوافرة فيه خاصة كما كان الحال فى العهد الإسلامى الأول. ولكننا نرد بأن الإسلام نزل لكل زمان ولكل مكان، والله الذى أنزله كنبراس نهتدى بأحكامه وتوجيهاته يعلم جيداً ما سوف يحدث من تطورات. فعلى الرغم من تلك الأضواء الليلية المبهرة، فما زالت تمثل أمراً مصطنعاً لا يمكن أن يضاهى طبيعة أنوار الشمس وأشعتها الطبيعية التى تكشف كل الأمكنة بدون أن تترك للمخلوقات الشريرة أو المنحرفة فرصة للاختباء أو للتخفى. ومهما حدث من لآلى ضوئية ليلية مصطنعة. فمازلنا نقرأ كل صباح أعداداً لا تنتهى من حوادث الانحراف التى يتركز ارتكابها فى الفترة المسائية، حيث توجد ثغرات ومنافذ تمثل مناخاً مازال صالحاً لارتكاب أعمال الشر والأذى: ولا يعرفها سوى خبراء الشر وحدهم الذين يرشدهم شياطينهم إليها.

ونتيجة للأهمية الخاصة لذلك الموضوع، فسوف نعرض عدداً من الأدلة الشرعية التى يدعم بعضها البعض، بدءاً من نصوص القرآن الكريم الذى يمثل المصدر الأول للتوجيه الإلهى ثم يتم الاستعانة بمزيد من الأدلة الشرعية الإضافية النابعة من كنوز السنة الشريفة.

فقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ (يونس: جزء من الآية ٦٧). وفى سورة النبأ نحصل

على صورة أكثر وضوحاً وتكاملاً في الإرشاد عن كيفية تخصيص الوقت حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: ٩-١١). ويتضح من الآيات الكريمة بمنتهى الدقة والوضوح أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون النوم هو الوسيلة الأساسية لتجديد النشاط، وبالتالي، فقد أرشد الله سبحانه وتعالى الإنسان الذي خلقه إلى أن أفضل وقت للنوم هو ذلك الذي تهدأ فيه الحركة والسعي في سبيل المعاش، ذلك السعي الذي يحدث بدوره أثناء النهار، بينما جعل الله سبحانه وتعالى الليل مظلماً أسوداً لكي يصبح ملائماً كوقت للخلود إلى الراحة والسكون والكف عن الحركة الدءوب التي عادة ما تتم أثناء النهار المنير المشرق.

والواقع أن الإسلام تضمن في توجيهاته في سبيل التخصيص الأمثل للوقت أن لا يجعل الليل كله نوماً فقط، لكنه وجه الإنسان إلى أفضلية تخصيص الثلث الأخير منه -على وجه الخصوص- للتعبد وللقيام حيث تسكن الحركة وتهدأ النفوس وتصبح أكثر صفاء واقتراباً من الجو الروحاني الجميل. وصدق الله في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر: جزء من الآية ٩).

أما عن استحباب الاستقرار في المنزل ليلاً، فقد أشار أكثر من حديث نبوي شريف إلى ذلك. فقد قال النبي ﷺ: «أقلوا الخروج بعد هداة الرجل، فإن لله تعالى دوابَّ ويبهثن في الأرض في تلك الساعة»

(عن جابر، أحمد بن حنبل، داود، والنسائي، في الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١١٨٤). وهنا تتأكد علة كراهية الخروج ليلاً وهو انتشار الدواب الضارة بالخارج. ونتيجة لعمومية مضمون ذلك الحديث الشريف، يمكن أن نتأكد من أن انتشار الدواب الضارة يكون في وقت الليل وذلك نتيجة لقلّة السيارة في الطرقات وليس نتيجة للظلمة الحالكة فقط. وتؤكد خطورة ذلك الضرر المرتبط بوقت الليل من حديث آخر عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إذا غربت الشمس. فكفوا صبيانكم، فإنها ساعة تنتشر فيها الشياطين» (الطبراني الكبير. في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٦٩٢). كما يقول رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم. وأغلقوا الأبواب. واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً. وأوكوا قربكم. واذكروا اسم الله، وحمروا آنتكم، واذكروا اسم الله. ولو أن تعرضوا عليه شيئا وأطفئوا مصابيحكم» (عن جابر، أحمد بن حنبل. والصحيحين وداود والنسائي وصحيح الجامع الصغير وزيادته. ج ١. ٧٦٤). بل لقد نهى الإسلام عن دفن الموتى ليلاً إلا في حالات الضرورة. فعن جابر أن النبي ﷺ قال: «لا تدفنوا أمواتكم بالليل إلا أن تضطروا» (ابن ماجه في صحيح الجامع الصغير وزيادته. ج ٢. ٧٢٦٨).

وفي حديث آخر، ينصح الناس بممارسة أعمالهم المعيشية وقت النشاط واليقظة مع التوقف عن ذلك حال الشعور بالنعاس والكسل حتى إن كان ذلك متعلقاً بالعبادة؛ لأن أى عمل في ذلك الوقت سيأتى بنتائج عكسية سيئة. فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدين يسر، ولا يشاد الدين أحداً إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة» (البخارى والنسائي، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٦١١). وكما جاء في رياض الصالحين للإمام أبى زكريا يحيى الدمشقى (ص ٦٨) في معنى ذلك الحديث، فإن الغدوة تعنى سير أول النهار، والروحة تعنى السير آخر النهار، والدلجة آخر الليل. وفي ذلك استعارة وتمثيل معناه: استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال وقت نشاطكم و فراغ قلوبكم بحيث لا تسأمون من العبادة، وتبلغون هدفكم من تلك العبادة، بالإحساس بالاستلذاذ بها، وذلك مثل المسافر الحاذق الذى يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غير تلك الأوقات، وبالتالي يستطيع أن يصل إلى المقصود بغير تعب.

هذا، وقد وردت أحاديث أخرى متعددة تؤكد على وجوب التوقف الفورى وقت أن يشعر الإنسان بالتعب، إلا أننا نفضل الاكتفاء بما تم عرضه تجنباً للتكرار المترکز على زاوية بحثية واحدة.

رابعاً: أوقات مفضلة لبعض الأحوال: وقبل أن نتقل إلى جزئية جديدة من التوجيهات الشرعية لكيفية التخصيص الأمثل للوقت، نود

أن ننوه في ذلك المقام إلى أنه قد وردت بعض الأحاديث النبوية الصحيحة التي يمكن أن تفيد الإنسان في اختيار أنسب الأوقات للقيام ببعض الإنجازات الخاصة، فعلى سبيل المثال يرشدنا أحد تلك الأحاديث الشريفة إلى أن يوم الخميس هو الأفضل للسفر. فعن أم سلمة «أن النبي ﷺ كان يستحب أن يسافر يوم الخميس» (الطبراني الكبير، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٩٥٠). وكان النبي ﷺ الذي يمثل القدوة المثلى لكل المسلمين يفضل إذا كان موجوداً بمنزل ما ألا يغادره قبل صلاة الظهر. فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي الظهر» (أحمد بن حنبل، داود، النسائي، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٧٩٣).

وفيما يتعلق بالغزوات، فقد كان أفضل وقت للبدء فيها هو وقت زوال الشمس؛ فعن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ «كان يعجبه أن يلقي العدو عند زوال الشمس» (الطبراني الكبير في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٩٨٧).

٣/٣: العبادات كوسائل لتنظيم الوقت والأعمال: اعتاد الناس - ومن بينهم المسلمون أن يحددوا أوقات أعمالهم ومعاملاتهم ومقابلاتهم مع الغير، وغير ذلك من السلوكيات والمواعيد والأنشطة. وفقاً للوحدات التقليدية لقياس الوقت الزمني والتاريخ مثل الساعة ومشتقاتها (الدقائق والثوان.. والفيمتو ثانية)؛ والسنة ومشتقاتها (شهور، وأيام).. الخ، وهذا شيء لا غبار عليه، وليس محرم دينياً. ولا

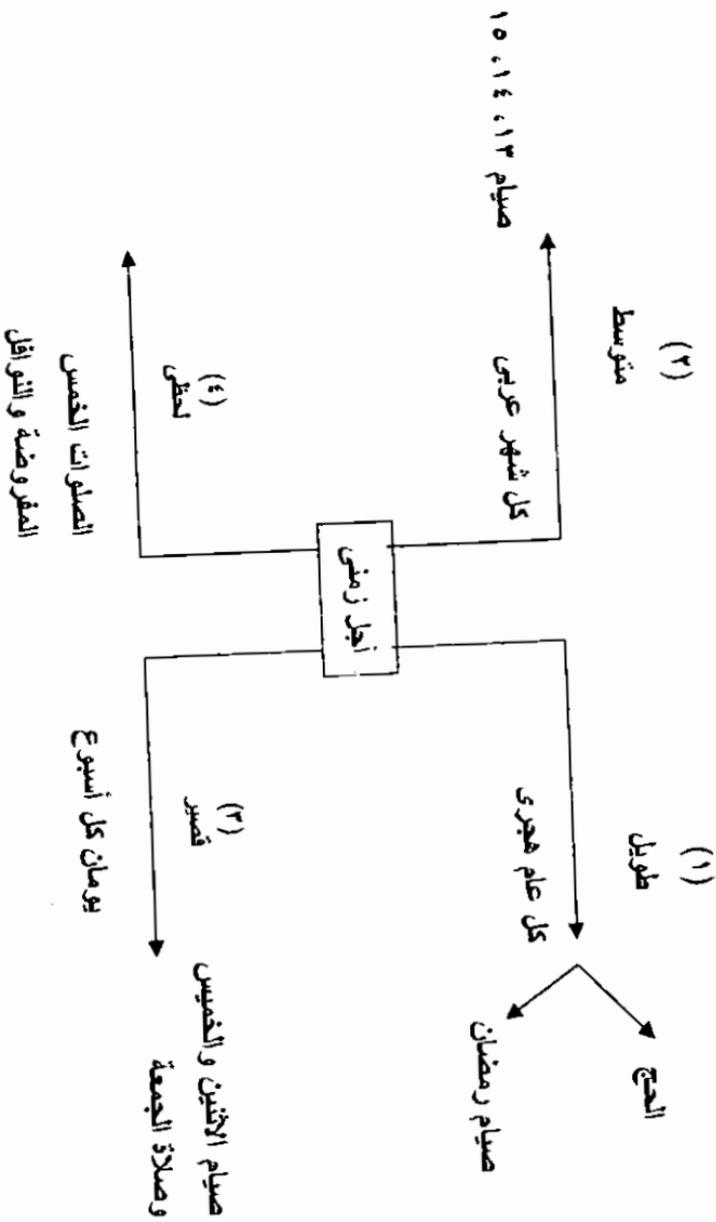
غير مجاز من الناحية القانونية. لكن المشكلة تكمن في أن مصالح الناس وأحوالهم كثيراً ما تتعارض بعضها مع البعض الآخر في أوقات أدائها، أو قد تتداخل وتتشابك بشكل يؤدي إلى وجود صعوبات كثيرة في التوفيق بين مواعيد أصحاب هذه المصالح في حالة احتياجهم إلى الالتقاء الآني على مصلحة واحدة أو عمل واحد أو ما شابه ذلك.

ولقد لاحظنا أن هناك من العبادات - خاصة المفروضة منها- ما يتفق توقيت أدائها بين كافة المسلمين - حيث أن التزامهم بأدائها واحد ومشارك مما يمكن معه أن تستخدم مواعيد أداء مثل تلك العبادات - ثابتة المواعيد والفترات- كوحدات تنظيمية شبه ثابتة للوقت وللأعمال الخاصة بكل فرد، بحيث يمكن أن ينتهي ذلك التطبيق الفردي تدريجياً إلى التوحيد التقريبي لتنظيم هيكل الوقت والأعمال بالمجتمع ككل. وانطلاقاً من تلك الفكرة. نود سرد مقترحاتنا وتصوراتنا التالية. مع تدعيمها ما أمكن بالأدلة الشرعية المناسبة.

وقبل البدء في سرد تصوراتنا، نود أن نلفت النظر إلى أننا سنستخدم ثلاثة أنواع من العبادات التي عادة ما تتم في أوقات محددة ودورية، ولكن على آجال زمنية مختلفة تنحصر في أربع فئات زمنية مختلفة ومنفصلة وذلك على النحو المبين في الشكل رقم (٦).

شكل (٦)

العبادات الرئيسية و دورية تكراراتها



ففى الشكل السابق يتم تصنيف العبادات التى تتم -على وجه العموم- بشكل دورى إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى الصلاة، والصيام والحج. ووفقاً لطول الفترة الزمنية الفاصلة بين تكرارات كل من تلك العبادات، تم إعادة تصنيف العبادات المذكورة إلى أربع فئات: ما يتم منها كل عام هجرى (طويلة الأجل)، وما يؤدى منها كل شهر عربى (عبادات متوسطة الأجل)، وما يستحسن تأديته كل أسبوع (عبادات قصيرة الأجل)، وما يجب أن يؤدى كل بضع ساعات (عبادات لحظية).

وعلى ضوء التصنيف -التصورى- السابق، يمكن أن نعتبر أن الحج (الذى يتم فى شهر ذى الحجة من كل عام هجرى) وصيام شهر رمضان (كل عام هجرى) هما العبادتان اللتان يتم إنجازهما على ذلك الأجل الطويل. وباعتبار الأجل المتوسط كل شهر عربى، فإن صيام أيام ١٣، ١٤، ١٥ منه (أيام التشريق) كسنة عن النبى ﷺ يمكن اعتباره من العبادات متوسطة الأجل. وتطبيق نفس المنظار التحكمى، اعتبرنا يومين من كل أسبوع أجلاً قصيراً (مقارنة بنظائره من الآجال الزمنية الأخرى المذكورة فى النموذج الحالى)، وبالتالي يعتبر صيام كل اثنين وحميس أسبوعياً -كسنة عن النبى ﷺ- عبادات قصيرة الأجل. أما الصلوات الخمس المفروضة والنوافل المرتبطة بها، فهى تؤدى كل نحو ثلاث ساعات فى المتوسط، وأحياناً تؤدى على فترات زمنية أقصر من ذلك (كما يحدث ما بين صلاة المغرب والعشاء)، وبالتالي يمكن أن

تعتبر هذه الصلوات من العبادات اللحظية لأنها تتم على فترات زمنية شديدة التقارب مقارنة بما عداها من العبادات الأخرى.

وفيما يلي، مزيداً من الشرح والتوضيح لكيفية استخدام العبادات المذكورة كوسائل إرشادية لتنظيم الوقت وتخصيصه.

أولاً: فيما يتعلق بالعبادات طويلة الأجل: أى التى تتم على الأجل الطويل مرة كل عام هجرى ولفترة طويلة نسبياً. فإذا بدأنا بشهر رمضان الذى تتم فيه عبادة الصيام لمدة شهر عربى كامل. وتعمقنا بنظراتنا البحثية المنقبة فى ما يحدث عادة فى خلال ذلك الشهر وفى الفترات المحيطة به - من قبل ومن بعد- فسوف نلاحظ أن ذلك الشهر مرتبط - فى جانب منه بمنافع اقتصادية كبيرة ومتميزة. بعضها يتعلق بجانب التكافل الاجتماعى ومجال تحمين أحوال الفقراء. والآخر يتضمن طفرة انتعاشية ورواجاً فى بعض الأنشطة والمعاملات التبادلية ذات الطابع المتميز المرتبط برمضان كشهر للصيام وبعيد الفطر كخاتمة مبهجة وكمكافأة دنيوية مؤقتة للصائمين والطائعين لأوامر ربهم.

ومن أهم ما يتميز به شهر رمضان عن بقية شهور العام زيادة استخدام مواد غذائية ومشروبات بعينها مثل التمور، والمكسرات، وقمر الدين، والعرقسوس، والفواكه الجففة لإعداد الخشاف (مثل التين الجفف والمشمشية) كما يزيد الاستهلاك للمواد الغذائية والمشروبات على مستوى الأسرة، وكذلك على مستوى المجتمع

ككل (نتيجة لانتشار موائد الرحمن التي تبسط في كل مكان لتقديم وجبات الإفطار للفقراء ولعابري السبيل وغيرهم ممن يعانون من ظروف خاصة كالوحدة المعيشية والتقاعد عن العمل المرتبط بالمعانة من مشكلة الانعزال الاجتماعي. كذلك يتميز شهر رمضان بالإقبال المتزايد على تلاوة المصاحف وقراءة الكتب الدينية، وذلك بالإضافة إلى قيام أعداد متزايدة من المسلمين برحلات العمرة في ذلك الشهر امتثالاً للسنة النبوية الشريفة حيث يقول النبي ﷺ «عمرة في رمضان تعدل حجة» (البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل وابن ماجه وداود والطبرانى الكبير فى: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٤٠٩٧).

وكذلك فإن كثيراً من الصائمين يعتكفون فى المساجد خاصة فى العشر أيام الأواخر من شهر رمضان بالإضافة إلى أداء صلوات التراويح بعد أداء صلاة العشاء ونوافلها. وما من شك فى أن رحلات العمرة وتأدية الاعتكاف يمكن أن ترتبط بمتطلبات خاصة من شأنها تيسير أمور المعتمر والمعتكف مثل توافر ملابس فضفاضة مريحة سهلة التنظيف ولا تتطلب كى مستمر وليست سريعة الاتساخ، وتوافر حافظات للنقود وللأوراق الهامة يمكن الاحتفاظ بها بطريقة آمنة ولا تأخذ حيزاً مكانياً، ومبردات للمياه أو حافظات للأطعمة وللمشاريب الساخنة (أو الثلجة) وذلك بالإضافة إلى كتيبات الأدعية والذكر التى يمكن أن تستخدم فى أثناء تلك السياحات الروحانية الرمضانية.

وعلى ضوء ما سبق، فإن ذلك يؤكد على ضرورة الاهتمام بالأنشطة وبالمنتجات الموسمية وتنشيط عملية القيام بها والإعداد لها في شهر كامل سابق لشهر رمضان بحيث يأتي شهر رمضان وقد توافرت فيه كل المستلزمات الرمضانية المتعلقة بموائد الرحمن وبرحلات العمرة وتوفير مستلزمات المعتكفين إلى غير ذلك من المنتجات والخدمات. وبالإضافة إلى ذلك، ففي خلال ذلك الشهر الكريم يمكن أن تنشط صناعة الملابس والجلود وذلك لتوفير مستلزمات عيد الفطر المبارك. كما يمكن القيام بحملة سنوية لتحسين أحوال الفقراء والمحتاجين بحيث تبدأ مع شهر رمضان وتنتهى بنهايته. وإن كان ذلك يتم بالفعل ولكن بشكل عفوى أو بحكم العادات المرتبطة بذلك الشهر (الكريم) فإن ما نفترضه هنا هو القيام بحملة (منظمة) على المستوى اأخلى وعلى المستوى العالمى حيث تعتبر مدفوعات زكاة المال وزكاة الفطر ومرانسة الرحمن من أهم الأدوات والوسائل التطبيقية الرئيسية لتنفيذ تلك الحملة بشكل ثابت ومنتظم.

هذا، ويقترح تقليص أحجام المعاملات والأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالحياة المعيشية الدنيوية خاصة فى العشر الأواخر من شهر رمضان بحيث يجب على المسلمين زيادة الوقت المخصص للعبادة وللتواصل مع خالقه بالاعتكاف أو بتكثيف أداء الطقوس التعبديّة الأخرى وذلك التماساً ليلية القدر التى اختصها الله سبحانه وتعالى بكثير من البركات وأنزل فيها سورة سميت باسمها توضح أهميتها

وذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (سورة القدر).

أما في خلال اليوم الواحد من أيام الصيام في رمضان، فهناك تصور مقترح لكيفية تخصيص الوقت فيه وتوزيعه بين أداء المهام والأنشطة المختلفة. ويقوم ذلك التصور على مسلمة أو بديهة معينة بأن يوم الصيام في رمضان يمكن تصنيفه إلى ثلاث فترات متميزة: فترة الصيام، وفترة الإفطار، وفترة السحور؛ ففي فترة الصيام التي تمتد من الفجر حتى آذان المغرب. يفترض أن المسلم الذي يؤدي السنة كما يجب، يؤخر سحوره بقدر الإمكان حتى أقرب لحظات لفترة بداية ذلك الصيام. وبافتراض تناول وجبة السحور في تلك الفترة السابقة الفجر مباشرة فكأن الإنسان بذلك يتناول وجبة الإفطار من أجل هذا، يفضل أن يبدأ الصائم يومه المعيشي المعتاد منذ ذلك الوقت، ويفضل بدء يومه بالقيام بأكثر الأعمال مشقة، وأكثرها تطلباً لقوى بدنية وذهنية عالية حيث يكون الجسم في بداية مراحل امتلائه واختزانه لوسائل الطاقة من غذاء وشراب. ومع اقتراب وقت الإفطار، يكون الجسم قد حل عليه التعب، وبدأت أعراض الجوع والعطش وما يصاحبها من آلام وضعف في اجتياحه، وبالتالي يفضل للصائم أن يخفف من أداء الأنشطة المرهقة بدنياً أو ذهنياً وكبديلاً إما أن يستغل تلك الفترة في التعبد، أو في النوم كوسيلتين للاسترخاء وتجديد

الشحن الروحي للجسد بما يضمن استعادة التوازن بين جانبي الروح والمادة اللتان يتكون منهما الجسم البشري وبحلول وقت الإفطار بعد آذان المغرب ينتقل الصائم إلى بهجة الجانب المادى للجسم ولهذا. فإنه من السنة أن يعجل الصائم بالإفطار، وذلك كما قال الرسول ﷺ : «بكروا بالإفطار. وأخروا السحور» (صحيح الجامع الصغير وزيادته. ج ١، ٢٨٣٥). وبعد الإفطار والصلاة. يمكن للإنسان استكمال جزء من الأنشطة خاصة العضلية منها (أسوة بصلاة التراويح وقياساً على استحباب أدائها لصائم رمضان بعد إفطاره)، فذلك من شأنه المساعدة على عملية هضم الطعام الذى يتوقع أن يكون الصائم قد حصل منه أكثر من حاجة الجسم إليه نتيجة لحرمانه منه طوال اليوم. كما أنه في أدائه لصلاة التراويح ولبعض الأعمال العضلية الخفيفة الأخرى. استعادة لمرونة أعضاء الجسم المختلفة ونشاطها. ولو أنه من الأفضل الاكتفاء بأداء صلاة التراويح ثم المسارعة في النوم للتمكن من أداء سنة التهجد وتناول طعام السحور. حيث نتصور أن فترة النوم هذه ستكون الفاصلة بين يوم سابق ويوم لاحق.

فقبل الفجر بنحو ساعة أو ساعتين، يكون الصائم قد حصل على كفايته من النوم اللازم لتجديد النشاط المادى للجسم، وهنا تبدأ فترة السحور حيث يصلى الإنسان في خلالها ما أمكن من النوافل ثم يتناول سحوره امتثالاً للسنة الشريفة «السحور بركة أعطاكموها الله. فلا تدعوها» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٦٣٦). والواقع

أن في تطبيق السنة الشريفة تحقيق لمصلحة مادية للصائم بل وللمجتمع ككل لأن في السحور تقوية للبدن وإعانة للصائم على القيام بأعماله المعيشية المعتادة بدون تكاسل وبنفس مستوى الإنتاجية والأداء في حالة الإفطار. والواقع أننا يمكن اتخاذ تلك السنة كدليل قاطع على أن الدين الإسلامي هو دين عمل وعبادة في نفس الوقت، وأنه عندما تشرع العبادة فلا بد أن تكون ملائمة مع الأعمال الدنيوية التي يحتاج إليها الفرد والمجتمع للعيش وللتقدم المستمر. وذلك أيضاً حجة تؤخذ على الصائمين المتكاسلين بحجة صيامهم، فلو أنهم اتبعوا سنة التسحر في الوقت المفضل لها ما حدث ذلك منهم أبداً.

هذا، ويعتبر الحج أيضاً من العبادات التي يتم أداؤها بعد أجل طويل نسبياً حيث تقام شعائره في شهر ذي الحجة من كل عام هجري. والحج بدوره على الرغم من أنه يمثل أساساً عبادة روحية لتقوية صلة العبد بربه وللإمتثال للأوامر الإلهية المقدسة، فإنه يتضمن منافع وجوانب اقتصادية وتحقيقاً لمصالح كثير من البشر. ويمكن أن نستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (الحج: ٢٧، ٢٨). ويشير تفسير القرآن العظيم لابن كثير إلى أن منافع الحج المشار إليها في الآية الكريمة تتضمن

منافع الآخرة (تكفير الذنوب ودخول الجنة) ومنافع الدنيا (ما يحصل عليه الحجاج من منافع البدن والذبائح والتجارة).

ويعتبر موسم الحج فترة ازدهار اقتصادى للبلد المضيف باعتباره سياحة دينية بالغة الازدهار، كما أنه فى خلال تلك الفترة يتم تدفق الثمرات والخيرات إلى البلد الحرام المعروف بمجذب أرضه، وذلك من خلال تدفق الزوار القادمين من أماكن خصبة. وبالإضافة إلى ذلك. فإن شعيرة الحج تعتبر بمثابة استقطاب تكتلى هائل للمسلمين من كل أرجاء المعمورة فى مكان جغرافى واحد وفى توقيت زمنى واحد، وذلك يمكن أن يمثل فرصة ذهبية لتدعيم الهوية الإسلامية بالقوة الاقتصادية وبالديبلوماسية السياسية وذلك من خلال عقد أو تجديد الصفقات التجارية وغيرها بين الأفراد من ناحية وبين الدول الوافدة منها الحجاج من ناحية أخرى. (لمزيد من التفاصيل حول المنافع الاقتصادية التى يمكن أن ترتبط بفترة الحج، ارجع إلى: زينب الأشوح. ذو القعدة ١٤٢٣هـ/يناير ٢٠٠٣م، ص١٧٢٩-١٧٣٥)

ثانياً: فيما يتعلق بالعبادات متوسطة وقصيرة الأجل: ويقصد بها هنا العبادات التى يتم أدائها كل شهر أو كل أسبوع والتى تستغرق فى أدائها فترة أقصر مما تستغرقه العبادات طويلة الأجل، وهى تتمثل هنا فى العمرة التى يتم أدائها فى أى وقت على مدار العام الهجرى، وصيام النوافل على النحو الذى بيناه من قبل كما تم توضيحه فى الشكل رقم (٢).

والواقع أن ما قيل عن دور الحج في مساعدة المرء على تخصيص المتاح له من وقت بأسلوب رشيد يمكن أن ينطبق بالمثل على رحلات العمرة التي تتم على مدار العام كنموذج مشابه لما يرتبط بشعائر الحج باعتباره تكتلاً بشرياً إسلامياً يتجمع في ذات الفترة الزمنية وإن كان بأحجام بشرية أقل وفي أوقات زمنية غير محددة على مدار العام.

أما فيما يتعلق بعبادة الصيام فإن ما قيل سابقاً عن تخصيص الوقت خلال يوم الصيام يمكن أن ينطبق بدون اختلاف كبير في حالة صيام الأيام الثلاثة من كل شهر عربى ويومى الاثنين والخميس من كل أسبوع. فقط نود التأكيد على الأهمية المتميزة للصيام في هذين اليومين كوسيلة لتحسين وضع المسلم أمام ربه خاصة في هذين اليومين (الاثنين والخميس) اللذين ترفع فيهما أعمال البشر إلى الله سبحانه. حيث يقول النبي ﷺ: «إن الأعمال ترفع يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٥٨٣). والواقع أن ذلك الحديث الجليل يوحى لنا بفكرة رائعة. فإن كانت أعمال البشر ترفع للخالق عز وجل يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع، فلماذا لا يخصص الإنسان هذين اليومين أيضاً لمحاسبة نفسه ومساءلتها عما قام بفعله وما تعرض له من حوادث ومواقف وما بدر عنه من سلوكيات قبل هذين اليومين بحيث يكونان يومين للحساب الذاتى بين المرء ونفسه وذلك عملاً بالتوجيه الشرعى: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»!؟

وبوجه عام، فإن أيام الصيام تعتبر بمثابة علاج نفسى لكبح ثورات النفس الشائرة المتمردة وتعويدها على الانضباط أولاً بأول حيث يرشدنا التوجيه النبوى إلى السلوك الواجب ربطه بالصيام كما جاء في الحديث الشريف: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صائم» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٧٨٣).

ثالثاً: العبادات اللحظية: ويقصد بها في نموذجنا الحالى العبادات التى تتم خلال اليوم على فترات متقاربة ولفترات زمنية بالغة القصر مقارنة بالمجموعتين السابق ذكرهما. ويمكن أن تتعدد تلك العبادات اللحظية وأشكالها، ومن الأمثلة عليها تلاوة القرآن والاستماع إليه والتسبيح والاستغفار والصلاة على النبى. غير أن أهم العبادات اللحظية التى يمكن أن تلعب دوراً جوهرياً في ترشيد تخصيص وقت الإنسان على الإطلاق هى الصلاة، خاصة الفرائض منها التى أوجب الإسلام على الإنسان ضرورة تأديتها في أوقات محددة على مدار اليوم، وأتاح فترة سماح محددة لأداء كل منها بحيث يعاقب المتأخر فى أداء تلك الفروض خارج أوقاتها المسموح بها. إذن فكأن الصلوات الخمس - على وجه الخصوص - تعتبر بمثابة مؤشرات قياسية ضابطة لفواصل زمنية بالغة التحديد والوضوح بحيث يمكن أن يساعد ذلك الإنسان على تخصيص أوقاته فى خلال اليوم وتوزيعها بين أعماله

وأنشطته المختلفة وفقاً لتلك الفواصل الزمنية المرتبطة بأوقات أداء الفروض الخمسة.

تعتبر الصلوات المفروضة بحق من أفضل المؤشرات الإرشادية التي تساعد على تنظيم حياة الفرد على مدار يومه كله. ولتصنيف أنشطته وتحركاته اليومية بأفضل شكل ممكن بالإضافة إلى ما ينطوى عليه أداؤها - في أوقاتها- من منافع ذاتية كثيرة تعود على المصلي من ناحيتين البدنية والنفسية.

فكرار الصلاة على فترات متقاربة ومتفاوتة أيضاً على مدار اليوم الواحد يجعلها أولاً بمثابة عمليات شحن رוחي متلاحق للإنسان حفاظاً على توازنه الطبيعي مع الجانب المادى فيه الذى دائماً ما يأخذه إلى مغريات الحياة ومادياتها الملموسة، كما أنها تعتبر بمثابة تمرينات رياضية تضمن مرونة جميع عضلات الجسم وتقويتها وزيادة كفاءة تشغيلها في أداء المهام المعيشية الشاقة. وبدلاً من إتباع النصائح المعتادة بعمل تمرينات رياضية (فى الصباح الباكر) فقط، فإن الله الأعم بطبيعة ما خلق يرشدنا إلى أن تلك التمرينات يجب ألا تكون فقط (تمرينات الصباح) ولكنها يجب أن تحدث على مدار اليوم.

وواقع أن الفصل التوقيتى للصلوات اليومية يفيد الإنسان أيضاً باعتباره نوعاً من الراحة الإجبارية لإلزامه بالتوقف عن الأعمال الدنيوية الشاقة وبالابتعاد اللحظى عن حلبة المصارعة مع البشر ومع

مشارك الحياة حيث يستطيع المرء في كل وقت صلاة يقوم لتأديتها أن يتحول إلى مناخ آخر مختلف.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن الإنسان يمكن أن يجدد أنشطته ومعاملاته وفقاً لأوقات الصلاة المختلفة، وأيضاً بالاسترشاد بطول الفترات التي تتخلل كل فرض وآخر بشكل مختلف. ولنبدأ بأول تلك الفروض وهي صلاة الفجر والتي تظل معها إشراقه يوم جديد. ويحدث وقتها تعاقب الملائكة كما جاء في الحديث الشريف: «يتعاقبون فيكم. ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين أتون فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وآتيناهم وهم يصلون» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ١٩٠١٩-٣١١٢).

وبافتراض أن الإنسان قد حصل على كفايته من النوم قبل الاستيقاظ لأداء صلاة الفجر، فإنه من الأفضل له ألا ينام بعد أدائها، بل يجب عليه أن يبدأ بعدها يومه المعيشي وأن يبدأ بأكثر التزاماته مشقة من الناحيتين البدنية والذهنية حيث يفترض أنه في ذلك الوقت يكون في قمة حيويته ونشاطه. ويمكن أن يدعم رأينا هذا ما جاء في الحديث الشريف: «بورك لأمتي في بكورها» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٢٨٤١).

وعادة ما تمر نحو خمس ساعات في المتوسط من وقت الشروق حتى يحين ميعاد صلاة الظهر وهي فترة طويلة نسبياً يستطيع الإنسان

فى خلالها القيام بالأعمال ليست الأكثر مشقة فحسب، بل أيضاً والأكثر احتياجاً لاستمرارية الإنجاز بدون انقطاع. ومع هذا، فقد سنَّ الله على الإنسان صلاة الضحى بحيث يمكن القيام بها فى أى وقت خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة نسبياً ما بين صلاة الشروق وبين وقت الظهر. وكان تلك الصلاة بمثابة جرعة فيتامينات أو منشط لجميع أعضاء الجسم لتمكينه من الاستمرار فى عمله الشاق. وكيف لا والحديث الشريف يقول: «يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة، تسليمه من لقى صدقة، أمره بالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة، وإمطة الأذى عن الطريق صدقة، وبضعه أهله صدقة، ويجزى عن ذلك كله ركعتان من الضحى، قالوا: يا رسول الله أحدنا يقضى شهرته وتكون له صدقة؟ قال: أرأيت لو وضعها فى غير حلها ألم يكن بأثم» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٨٠٩٦-٣١٧٧).

ويلاحظ أن الفترة ما بين الظهر والعصر تدنى تقريباً إلى نصف الفترة ما بين الصبح والظهر حيث لا تتعدى ثلاث ساعات ويمكن لذلك أن يوحى لنا بأن الأعمال التى تتم ممارستها فى خلال تلك الفترة تكون من الأعمال الأقل مشقة والأقل احتياجاً للاستمرارية الزمنية مقارنة بتلك التى كانت تؤدى منذ الصباح. وإذا جاز لنا التعبير فإن أعمال الصباح يفضل أن تكون ذات طبيعة أساسية مستقلة بينما الأعمال التى تنجز فى الفترة بين صلاحى الظهر والعصر يمكن أن تكون أعمالاً استكمالية. أما الفترة ما بين العصر والمغرب فهى أقصر من

سابقتها وتبلغ نحو ساعتين في المتوسط ولأنها تقع في النصف الأخير من النهار فيمكن أن يتم تخصيصها لتناول طعام الغداء والراحة. غير أنه من المفضل للإنسان أن يستمر في أداء أعماله المعيشية حتى يحين ميعاد صلاة المغرب، وهنا عليه أن ينهي يومه التكسبي ويبدأ جزءاً آخر منفصل عنه تماماً.

ويلاحظ أن الوقت بين المغرب والعشاء من أقصر الفترات الزمنية التي تتخلل الصلوات المفروضة حيث لا يتعدى ساعة ونصف. لذا، يفضل عدم التزام المرء بأى التزامات عمل أو غيرها في خلال تلك الفترة. أما بعد صلاة العشاء، فيفضل - إذا لم تكن هناك ضرورة لغير ذلك أن ينام الإنسان ليتمكن من الاستيقاظ في النصف الأخير من الليل لقيام الليل ولأداء صلاة الفجر في ميعادها... وكذلك لبدء يومه الجديد على نحو ما أوضحنا من قبل. والواقع أن ما دفعنا لإبداء ذلك الاقتراح التصوري الأخير أن النبي ﷺ قال: « نهى عن النوم قبل العشاء، وعن الحديث بعدها» (عن ابن عباس، الطبراني الكبير، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٩١٥).

إما إن كان للإنسان حاجات يجب أن يقضيها بعد صلاة المغرب. وأراد في نفس الوقت تنفيذ توجيه النبوى الوارد بالحديث السابق ذكره بعدم الكلام بعد صلاة العشاء، فيمكنه أن يؤخر صلاة العشاء إلى وقت لاحق لأداء مهمته ثم ينام بعدها مباشرة. مع العلم بأن وقت صلاة العشاء ليس ممتداً حتى وقت صلاة الصبح أو الفجر كما يعتقد

- خطأ. كثير من الناس، ولكنه ينتهي عادة عند منتصف الليل تقريباً. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى الثلث الأخير من الليل أو نصفه» (أحمد بن حنبل، الترمذی، ابن ماجه، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج-٢، ١٧٢٦-٥٣١٣).

وكقاعدة عامة يمكن استنباطها من التوجيه الإسلامي حول تخصيص الوقت للعمل التكسبي فإن ذلك الوقت يجب أن يبدأ بعد طلوع الشمس وليس قبلها أبداً وذلك استرشاداً بما رواه ابن ماجه من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى عن السوم^(١) قبل طلوع الشمس» (الرعى- ابن كثير ٤/١٨٥).

كما أن التكرار الزمني المستمر للعمل يمكن أن يستخدم كمعيار لارتفاع كفاءة العمل وذلك استرشاداً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل» (عن عائشة في الصحيحين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج-٢، ٧٨٨٧-٢٩٨٢).

ونختم حديثنا عن كيفية الاسترشاد بالصلوات المفروضة في التخصيص السليم للوقت، بالتركيز على صلاة ذات طبيعة بالغة التميز وهي صلاة الجمعة. حيث يمكن أن تكون تلك الصلاة الجامعة بمثابة فاصل زمني محدد بين فترة سابقة للانشاط أو النشاط المحدود

وفرة لاحقة لممارسة كل نشاط. وترشدنا إلى ذلك الآيات الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ٩، ١٠). وعادة ما تضيق فرص ممارسة الأنشطة التكسية والمعيشية قبل صلاة الجمعة - ولكنها لا تحرم - وذلك لاستحباب إعداد الحال الملائم لأداء تلك الصلاة المقدسة مثل الاغتسال وتبكير الذهاب إلى المسجد. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قرب بَدَنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن. ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة. ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» (للبخارى ومسلم، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج-٢، ٦٠٦٣-٦٠٠٤).

والواقع أن الحديث الشريف يفيدنا كثيراً في استنباط معيار آخر متميز لتقييم أداء العمل على أساس (الوقت) الذى بدأ فيه الإنسان عمله؛ ويمكن أيضاً استخدام ذلك المعيار في المقاضلة في أداء وإنجاز مجموعة أفراد يعملون كفريق متكامل مكلف بمجال عمل واحد. حيث تعطى الأفضلية وأولوية التقييم لمن بدأ عمله في وقت مبكر عن

غيره، أو من حضر إلى مكان العمل وأصبح جاهزاً قبل غيره لأداء تكاليفات العمل.

٤/٣ : النوم والراحة: لم يغفل التوجيه الإسلامي جانبي النوم والراحة كاحتياجات أساسية للبشر. لذا، فقد قدم بعض الإرشادات العامة المفيدة في ذلك المجال. فإذا ما بدأنا الحديث ببداية اليوم التي تأتي مع صلاة الفجر، فإن الإنسان في تلك الفترة قد يكون مستمراً في حالة بين النوم واليقظة؛ فإن نام نوماً كاملاً بعد صلاة الفجر، فقد يتأخر في استيقاظه ويضيع على نفسه بركة التبكير في الاستيقاظ وبدء النشاط اليومي المعتاد كما دعا إلى ذلك الحديث الشريف: «بورك لأمتي في بكورها» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٢٨٤١). وكبديل فعال ينصح النبي ﷺ بالاضطجاع لبعض الوقت كنوع من الإعداد التدريجي للذهن وللبدن لبدء أعمال اليوم الجديد. فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على جنبه الأيمن» (حسن صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٦٤٢).

كما أن ممارسة الأعمال الشاقة والمجهددة قد تصيب الإنسان بإرهاق يمكن أن يعرقل استمراره في العمل إطلاقاً أو بالكفاءة المطلوبة بقية اليوم. وللتغلب على ذلك الإرهاق ولتجديد نشاط الجسم وحيويته، يفضل للإنسان أن ينام نوماً خفيفاً أثناء النهار حيث يقول

الرسول ﷺ: «قِيلُوا؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ» (حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٤٤٣١).

وكما ذكرنا من قبل، فقد نهى النبي ﷺ عن النوم قبل العشاء «نهى عن النوم قبل العشاء، وعن الحديث بعدها» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٩١٥)، ومع هذا، فقد وردت في رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم كان ينام مبكراً في أول الليل وذلك كما جاء في الحديث الشريف: «كان ينام أول الليل، ويحیی آخره» (عن عائشة رضی الله عنها، ابن ماجه في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٥٠١٧)، ويلاحظ من ذلك الحديث المطهر أن العلة من النوم المبكر، هو التمكن من الاستيقاظ في جوف الليل لأداء صلاة التهجد والقيام. أى أن النوم وسيلة في حد ذاتها لتقوية البدن وإعانتة على مداومة العبادة. ويتأكد ذلك من قول النبي ﷺ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَصَلِي فَلْيُرْقِدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَائِمٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسِبُ نَفْسَهُ» (متفق عليه. رياض الصالحين، ص ٦٩).

هذا، ولا يؤاخذ الإنسان إذا غلبه النوم على أداء صلاة في وقتها طالما لم يتعمد حدوث ذلك بدليل الحديث الشريف: «إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقْظَةِ، فَبِإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلَاةً أَوْ نَادَ عَنْهَا، فَلْيَصِلْهَا إِذَا ذَكَرَهَا لَوْ قَتَلَهَا مِنَ الْغَدِ» (عن أبي قتادة، أبو داود).

الترمذى، النسائى، ابن ماجه، فى صحيح الجامع الصغير وزيادته،
ج ١، ٢٤١٠-١٠٩٣).

والواقع أن النوم يعتبر نعمة يمنحها الله للإنسان كوسيلة للراحة
وللاسترخاء وللشعور الآمن المريح بدليل قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ
الثَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ
عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيَثْبِتَ بِهِ
الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١).

وبعد أن تحدثنا عن أوقات الكسب والنوم والعبادة فى حياة
الإنسان، ترى هل مازال فى حياة المسلم وقتٌ للفراغ يمكن أن يقضيه
فى أمور أخرى لا تتعلق بكل ما سبق ذكره؟! وإن كان الحال كذلك،
إلى أى مدى يتوافق - أو يختلف- المنظور الإسلامى لوقت الفراغ مقارنة
بالمنظور الوضعى له. ذلك ما سوف يتضح لنا من الجزء التالى توطأ.

٥/٣: المنظور الإسلامى لوقت الفراغ Leisure : كما نوهنا من
قبل، وأشير إلى ذلك ضمناً، فإن هناك اختلافاً كبيراً فى الرؤية
الإسلامية لاقتصاديات الوقت، ورؤية الاقتصاد الوضعى فى ذلك
المجال، ومن أهم أوجه ذلك الاختلاف؛ أن الاقتصاد الوضعى يتجاهل
تماماً الوقت الذى يجب أن يقضيه الإنسان فى التعبد وفى توطيد صلته
بالله عز وجل بينما يعتبر ذلك الوقت من الأساسيات التى يهتم
الاقتصاد الإسلامى بإبرازها وبتوضيح دورها فى توجيه الأوقات
الأخرى وتنظيمها بين أنشطة الإنسان وتحركاته الحياتية المختلفة.

وبالإضافة إلى ما سبق، توجد نقطة اختلاف جوهرية أخرى بين الرؤيتين، وهي تتعلق في تلك الحالة بموضوع (وقت الفراغ) ومفهومه وكيفية قضاء الإنسان له وقبل أن نعرض بمزيد من التفاصيل كيف تعالج قضية وقت الفراغ من المنظور الإسلامي نود أولاً أن نوضح المفهوم الوضعي لذلك المصطلح، يلي ذلك توضيح المفهوم الإسلامي لذات المصطلح من خلال نظرة مقارنة مركزة على ذات المصطلح كل الاهتمام والتحليل.

- المفهوم الوضعي لوقت الفراغ:

كما اتضح من العرض السابق، يعتبر وقت الفراغ في الأدبيات الاقتصادية التقليدية هو الوقت المتبقى من بقية الوقت المتاح للإنسان للتصرف فيه بعد انتهاء أوقات ممارسته للدراسة أو للعمل التكميلي. وهو وقت (حر) Free Time ، حيث يسمح للإنسان بأن يقضيه بالكيفية التي يراها مناسبة، ووفقاً لرغباته الشخصية البحتة. طالما أنه أدى التزاماته المعيشية الأخرى على النحو المستهدف.

ووفقاً للتحليل الاقتصادي الوضعي لوقت الفراغ، فهناك صنفان متميزان منه، أحدهما سلبي وغير مرغوب في وجوده في حياة الإنسان، حيث لا يمارس الإنسان فيه أى أنشطة نافعة، بل وأحياناً يقضيه في ممارسة أعمال ضارة به أو بغيره مثل تعاطي الخمر والمخدرات والدخول في علاقات منحرفة مع الغير. أما الصنف الثاني: فيتمثل في وقت فراغ إيجابي حيث يقضيه الإنسان في الترويح أو الترفيه

عن النفس بشكل صحى وسليم بحيث يؤدي ذلك فى النهاية إلى تجديد نشاط وحيوية الإنسان ورفع معنوياته ومدته بالقدر الكافى من الاسترخاء مما يمكن المرء من العودة لممارسة التزاماته المعيشية والتكسبية بمزيد من الحماس والطموح والقوة. وعادة ما تنحصر اقتراحات الدراسات المتخصصة فى ذلك المجال فى الوسائل والأشكال الدنيوية للترفيه وللإسترخاء أثناء وقت الفراغ مثل ممارسة أنواع الرياضة المختلفة والرسم والتأليف، والقيام بنزهات بحرية أو خلوية أو الذهاب إلى دور الفن والملاهى إلى آخره من تلك الأشكال التقليدية المادية.

- المفهوم الإسلامى لوقت الفراغ:

بالرجوع إلى الفصل الأول، يمكن التعرف على المعنى اللغوى للشق الأول من المصطلح المعنى، حيث نجد أن كلمة وقت تعنى جزء من الزمان، أو أنه -بمزيد من التحديد- «مقدار من الزمان قدّر لأمر ما» ويتبقى لنا إذن أن نتعرف على المقصود من كلمة فراغ حتى يمكن وضع تحديد واضح لما يعنيه المصطلح ككل. ولقد وجد فى القواميس اللغوية أنه يعنى الخلو (انظر على سبيل المثال إلى المعجم الوسيط ص ٦٨٤). ومن الإيضاحات التى يمكن أن تعمق ذلك المفهوم وتضيف بعض المعانى الهامة له أنه إذا قيل «فرغ من الشئ» فذلك يعنى إتمام ذلك الشئ بينما تعنى جملة «فرغ إلى الشئ» أو «فرغ للشئ»: انقطاع المرء لفعل ذلك الشئ فقط وتركيز كل الاهتمام عليه وحده،

أما عبارة «تفرغ من الشيء» فهي التي تعنى التخلي عن ذلك الشيء أو تركه لفعل غيره كالتفرغ من الشغل - على سبيل المثال- (المعجم الوجيز، ص ٦٨٤).

ويلاحظ مما سبق أن معنى كلمة «فراغ» فى اللغة العربية يتم بشكل أكثر دقة وتحديدًا من كيفية تحديد معناها كمنظور وضعى غير دقيق بالمقارنة. وبالعودة إلى التركيز على الجانب اللغوى، فإننا نجد أن كلمة فراغ تعنى الخلو على إطلاقها لكن إضافة بعض الحروف إليها قد تغير من معنى الكلمة تمامًا وتحولها إلى الامتلاء أو الانشغال الكامل.

وحتى يمكن تأصيل المفهوم الإسلامى لكلمة الفراغ منتسبة إلى الوقت يمكن الاستعانة بالنص القرآنى الذى وردت فيه احدى مشتقات كلمة الفراغ المعنية وتبع تفسيره كما جاء فى شرح العلماء لذلك. ففي سورة الشرح يقول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَعْتَ قَانِصَبَ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الشرح: ٧، ٨). ويتضح من شرح ابن كثير أن كلمة «فرغت» تعنى: قطعت نفسك عن أمور الدنيا وأشغالها (المجلد الرابع، ج ٨، ص ٤٨٤).

وإذا كانت الآية السابقة من سورة الشرح تشير إلى الفراغ بمعنى الانقطاع عن أمور الدنيا وأشغالها، فإن الآية التالية لها مباشرة تشير إلى أن إنقطاع الإنسان عن أمور الدنيا وأشغالها المادية لا يعنى أنه أصبح حرًا طليقًا فى استغلال ما تبقى له من وقت بعد ذلك (كما اتضح من المنظور الوضعى السابق الإشارة إليه سابقًا)، بل إن على الإنسان أن

أن يبدأ في (التفرغ) لأداء مهمة أخرى بالغة الأهمية لاستكمال دوره على الأرض وذلك بأداء عبادات التطوع لله عز وجل وتعميق صلواته الروحية بمخالقه حتى لا ينسى أو ينحرف عن طبيعة دوره الأصلي الذي خلق من أجله وهو عبادة الله الواحد القهار وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٦-٥٨).

ويتضح من الآيات الكريمة أيضاً ضرورة عدم الجور بوقت العمل واستغلال المنافع الدنيوية على حساب الوقت المخصص للعبادة والتقرب إلى الله لأنه وحده هو الرزاق، وبالتالي فإن التفرغ للعمل الدنيوى قد يكون شرطاً ضرورياً ولكنه غير كاف لضمان تحقق المنافع الدنيوية المستهدفة.

وبناء على ما سبق، يتأكد أن الإسلام لا يسمح بوجود وقت فراغ بالمعنى المشار إليه في المنظور الوضعى حيث أن المسلم لا بد أن يشغل كل لحظة في حياته بعمل أو سلوك أو نشاط يحسب له ولا يحسب عليه في ميزان أعماله الذى يحدد مآله الأخرى.

هذا، كما أن الإسلام لا يفرد للعمل وللسعى الدنيوى مصنفاً منفرداً فى قائمة السلوك البشرى الواجب وذلك كما يحدث من المنظور الوضعى- بل إن العمل والسعى الدنيوى يعتبران جزءاً لا يتجزأ من عبادة الإنسان لله الخالق المعبود طالما اقتزن ذلك بالنية

الصالحة وتم ضبطه بالحدود والأحكام الشرعية التي أمر بها الله سبحانه وتعالى. ووفقاً لذلك المنظور، فإن الإنسان الذي يراعى الضوابط الإسلامية في استغلاله للمتاح له من وقت وأجل لا بد أن يدرك أنه لا وقت فراغ لديه - فهو يفرغ من شئ لكى يتفرغ لشئ آخر وذلك حتى ينتهى دوره الموكل إليه فى الحياة الدنيا.

وبالتالى فإن وقت الفراغ يمكن أن يعرف من المنظور الإسلامى على أنه «ذلك الوقت المتاح للإنسان بعد أداء العبادات المفروضة وإتمام المهام المعيشية والتكسبية الضرورية للحفاظ على مستوى اقتصادى واجتماعى مقبول شرعاً وعرفاً، بحيث يمكن للفرد أن يقضى ذلك الوقت المتاح المتبقى بشكل مختلف بما يتلاءم مع أحكام الشريعة من ناحية، ومع استعداداته النفسية والعضوية من ناحية أخرى». فعلى سبيل المثال، إن أحس المسلم بتعب وبكسل أو بعجز عن الاستمرار عن أداء عمل بدنى أو ذهنى ما، فعلى الإنسان أن يتوقف فوراً ويتحول مع هذا- إلى أداء شئ آخر يفيد ليس فقط فى تجديد نشاطه. ولكن أيضاً فى زيادة ميزان حسناته الأخرى طالما نوى بذلك الفعل ابتغاء مرضاة الله عزوجل. فإن كان المرء ينصح مثلاً بممارسة رياضة اليوجا الذهنية أو التأمل لإراحة الذهن من أثقاله، فيمكن للمسلم كبديل أن يظل فى حالة سكون تام مع ذكر الله حتى فى نفسه. وفى تلك الحالة يستطيع المسلم تحقيق نفع مزدوج دنيوى وأخرى، وإن كان البعض يلجأون إلى اللذات الحسية المحرمة كوسيلة للانتعاش، فإن

المسلم يمكن أن يهرع إلى زوجته فيستفيد في دنياه وأخراه وذلك مصداقاً للحديث الشريف: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ فقال: أرايتم لو وضعها في الحرام كان يكون عليه وزر، قالوا: بلى، قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال له الأجر» كما أن إراحة البدن من مشقة العمل تجديداً للنشاط وإعانة على الاستمرار في أداء دور المسلم في الحياة يمكن أن يعتبر - في حد ذاته - أحد أشكال العبادة خاصة لو نوى المسلم القيام بذلك أتباع السنة حيث يقول النبي ﷺ: «يا عبد الله! ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فلا تفعل، فإنك إذا فعلت ذلك هُجمت عينك، وتفهمت نفسك فصم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإذا ذلك صيام الدهر كله، قال: إني أجد قوة، قال: فصم صيام نبي الله داود، ولا تزد عليه، نصف الدهر» (صحيح الجامع الصغير، مج ٢، ٧٩٤٢-٣٠٣٦).

ومخلص مما سبق إلى التأكيد على أن وقت الفراغ يختلف في المنظور الإسلامي عنه في المنظور الوضعي من زاوية أساسية حاسمة تتمثل في أن الإنسان ليس حرراً في استغلال المتاح له من وقت حتى إن كان قد أدى ما عليه من التزامات تتعلق بالعمل الدنيوي والتكسبي الضروري. فحتى لو اتفق على أن وقت الفراغ يعني الوقت الخالي من

لأنشغال ففي المفهوم الإسلامي يكون الأمر نسبياً حيث إن الإنسان إذا ما خلا وقته من الانشغال بأمر ما، فلا بد أن ينصرف إلى غيره لعملية متكاملة كلية يجب عليه إنجازها في خلال فترة زمنية إجمالية مددة بلحظات عمره وبوقت تواجهه في الحياة الدنيا.

وبناء على المفهوم الإسلامي لوقت الفراغ المشار إليه تَوَّأً، نلاحظ أنه يتميز على المفهوم الوضعي لأن الأول يشجع على (كثرة وتعدد) الإنجازات الإيجابية الفعالة والبناءة التي يمكن أن يقوم بها الإنسان طوال فترة حياته طالما أن الفراغ بالنسبة له هو مرحلة تصنيفية وانتقالية من وضع إلى آخر في مجال واحد محدد ومحكوم بهدف شرعي لا بديل له، وهو إعمار الأرض وتحقيق النفع الذاتي للمرء وللإنسانية بل ولكل فلولقات الأرض في إطار الدور الموكل إليه وهو الخلافة في الأرض. كما في المنظور الوضعي فيمكن أن يعتبر وقت الفراغ بمثابة ثغرة يمكن من تعرقل عمليات النمو والتقدم إذا لم يحسن المرء استغلاله أو حرصه على أن يكون ذلك مجرد تحقيق لمذات وإرضاء شهوات دنيوية لا تنفع لذات ولا الآخرين بل قد تسبب لهم أضراراً لا يعرف لها حدود.

هذا، ويمكن أن يعتبر المفهوم الإسلامي لوقت الفراغ — كما سبق ضاحه تَوَّأً — بمثابة دليل لا يقبل الشك على أن الإسلام هو دين تقدم نحو وليس ديناً يساعد على التخلف والتكاسل كما تدعى بعض الجهات المغرضة. ومن أجل تعميق تلك النتيجة، يوصى بعمل مزيد من الأبحاث الموجهة لدراسة جدوى مشروعات اقتصادية قامت على

أساس مراعاة المفهوم الوضعي لذلك مع الحرص على قياس إنتاجية العاملين في كلا الصنفين المعنيين ونحن ننتظر النتائج.

وبالإضافة إلى ما سبق، نود إضافة بعض الحقائق والجوانب الأخرى المتعلقة بمفهوم وقت الفراغ من المنظور الإسلامى والأمثلة على بعض الأشكال الفعلية (الفعالة) لكيفية قضائه بحيث يتطابق مع المفهوم الإسلامى أي بحيث يظل ذلك الوقت بمثابة إحدى الحلقات المتصلة ببقية حلقات الوقت الكلى المتاح للإنسان فى الحياة الدنيا، ويكون فراغاً من نشاط أو سلوكاً نافعاً إلى آخر نافع ولكن بشكل مختلف.

أولاً: وقت الفراغ يمكن أن يكون وقت لأداء العبادة التطوعية أو الإعداد لها:

فتشير الرؤية الإسلامية إلى أن وقت فراغ الإنسان هو ذلك الوقت المخصص له بعد انتهائه من كل التزاماته التعبدية المفروضة والدينية المعيشية ومتعلقاتها التى تنفعه فى الوفاء باحتياجاته المادية. وبالتالي تبقى له احتياجات أخرى ترويجية ومساعدة على تدعيم حالة التوازن التى يجب أن يظل عليها بشكل صحيح فى الدنيا التى تضمن الوفاء بالاحتياج الآنى المزدوج للجسد وللروح معاً ويكون ذلك بطبيعة الحال بقضائه فى العبادات المختلفة (التي تشمل كل أشكال اللهو والترفيه الإيجابى والمفيد للذات وللغير) التى تتيح فرصة الإضافة إلى ميزان حسنات المسلم). وليس بالسعى إلى اللهو المحرم أو

العقيم الذى يمكن أن يساهم —على عكس المستهدف— فى تدمير ما يتبقى لديه من نزعات روحانية صافية مما يعرض المرء لعدم التوازن الذى يتسبب فى وقوعه فى هوة انحرافات لا نهاية لها بدليل ما يحدث الآن من تفش لمظاهر الانحراف مثل الإدمان والشذوذ وغيرها.

ومن الآراء الهامة التى تعرضت لهذا الوقت نذكر —على سبيل المثال لا الحصر— ما قيل ضمناً فى بعض الدراسات المهمة بالتنمية البشرية والاجتماعية فى المجتمع الإسلامى، حيث يتفق كل من العالمين:

صديقى Siddiqi وحميد الله (Muhammed Hameedullah)

(Siddiqi, 80, pp88-151) على أن أكبر طلب على وقت الفراغ يتركز فى العالم الإسلامى وذلك نتيجة للرغبة فى أداء العبادات على اختلاف أنواعها بالإضافة إلى القيام بالالتزامات الاجتماعية التكافلية المكلف بها كأحد أسس الشريعة التى يتبعها. ويعتبر ذلك شيئاً مرغوباً فيه بدليل أن صديقى اقترح فى النموذج الذى قدمه عن ضوابط الاستهلاك الإسلامى أن يراعى الحث على زيادة الطلب على كل ما يؤدى إلى المزيد من الثقافة والخدمات الاجتماعية؛ ويتيح فرصة لتحقيق وقت فراغ أكبر واستثماره بشكل أقل.

ولقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى كيفية قضاء وقت الفراغ فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الشرح: ٧.

٨). ولقد ورد فى شرح ابن كثير (المجلد الرابع، جـ ٨، ص ٢٤٨) هاتين الآيتين الكريمتين، فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت

علائقها، فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال وأخلص
لربك النية والرغبة، ويرى «الثورى أن كلمة فانصب هنا تعنى اجعل
نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل».

ويفيد المدلول الأخير في توضيح أمر بالغ الأهمية. فمن رحمة الله
بعباده أنه أتاح للبشر عدداً كبيراً بالغ التنوع من أشكال العبادات التي
يمكن للإنسان أن ينتقل بينها - دفعاً لجانب الشعور بالملل- أو أن يقوم
ببعضها لأنها أكثر ملائمة لقدراته وظروفه من البعض الآخر، بل إنه
سبحانه وتعالى بكرمه الواسع جعل أى عمل أو سلوك يقوم به الإنسان
(حتى إن كان فيه مصلحة خاصة له) نوعاً من العبادة التي يمكن أن
يؤجر عليها، طالما جعل نيته ورغبته في ذلك العمل أو السلوك إلى الله
عز وجل كما أوضح الثورى عليه.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن التوجيه الإسلامى وإن كان يبدو
اتفاقاً مع الرؤية الوضعية فى التعريف العام لوقت الفراغ وهو أنه ذلك
الوقت المتبقى بعد إنجاز مستلزمات المعيشة من أعمال، فهو يعتبر وقت
الفراغ بمثابة مورد نافع متاح للإنسان وعليه أن يحسن استغلاله.
ويعنى أكثر تحديداً فهو من النعم التي لا يفطن إلى أهميتها كثير من
الناس حيث يساء استخدامها بحيث يؤدي ذلك إلى ظلم النفس أو
الإضرار بها، إما لعدم الاستفادة بالمنافع الكامنة في تلك المساحة من
الوقت نتيجة لعدم استغلاله بشكل إيجابى فعال، أو للإصابة بأذى
نتيجة لسوء استغلاله فيما يتنافى مع الشرح والقانون حيث يتعرض

الإنسان في تلك الحالة للوقوع في دائرة الإثم والعقاب الديوى والأخروى. ويرشدنا إلى ذلك التوجيه الإسلامى الحكيم قول النبى ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (عن ابن عباس، البخارى، الترمذى، ابن ماجه، فى صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٧٧٨).

وعلى أية حال، فإن كنا قد أشرنا سابقاً إلى أن وقت الفراغ فى الإسلام هو وقت العبادة أو الإعداد لها، فإننا أيضاً نوهنا إلى أن أى عمل أو سلوك يقوم به الإنسان حتى إن كان فيه مصلحته الذاتية، بل ومتعته الذاتية أيضاً ولكن أراد الإنسان بها ابتغاء مرضاة الله فيمكن أن تصبح أحد العبادات التى يثاب ويؤجر عليها كما أوضحنا -عرضاً- فى صفحات سابقة.

وحتى تتضح لنا الرؤية الإسلامية الإرشادية لكيفية قضاء وقت الفراغ، ويتبين لنا مدى مرونتها وملاءمتها للنفس البشرية. نورد فيما يلى بعض الأمثلة الهامة على ما يمكن للإنسان الرشيد أن يفعله فى وقت الفراغ المتاح له.

ثانياً: بعض الأمثلة الأخرى على كيفية قضاء وقت الفراغ: كما ذكرنا سابقاً، فإن وقت الفراغ يمكن أن يقضى فى عبادة، أو فى الإعداد لها. ويقصد بالعبادة الأخيرة أن يحاول الإنسان فى خلال ذلك الوقت فعل ما من شأنه أن يقوى بدنه ويشحن روحه بجرعات إيمانية تمهيدية تساعد على القيام بالعبادات المفروضة منها والتطوعية

بالشكل الكافي وبالأسلوب الصحيح. وبالتالي يمكن أن تصبح تلك الإنجازات في حد ذاتها بمثابة عبادات مأجورة حتى وإن لم تكن تتم في شكل العبادات المتعارف عليها كالصلاة والحج والعمرة... الخ ومن الأمثلة على الأشكال الأخرى لقضاء وقت الفراغ مما يتيح للمسلم فرص تحقق السعادة والرفاهية في الدنيا والآخرة أيضاً نذكر الآتي:

(١) الاضطجاع والرقاد كوسيلة لاستعادة نشاط الجسم وحيويته: فكما أوضحنا سابقاً، إن كان الإنسان يشعر بإرهاق أو تعب أو يميل إلى النعاس، فيجب عليه عدم تأديته للصلاة وهو على هذه الحال تجنباً للخطأ في أداء تلك العبادة المقدسة. وكحل فعال، ينصح الإنسان بالاضطجاع بحيث يستلقي على الفراش بدون نوم، أو بالرقاد بحيث يمكن أن ينام الإنسان إذا كان جسمه محتاجاً لذلك. وكما ذكرنا من قبل، فإن النوم لا يحاسب عليه المرء طالما كان الجسم محتاجاً إليه حيث أنه وسيلة حيوية ضرورية لتحقيق الاسترخاء التام ولتجديد حيوية ونشاط كل أعضاء الجسم وذلك كما قال الرسول ﷺ: «إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط في اليقظة، فإذا نسي أحدكم صلاة أو نام عنها، فليصلها إذا ذكرها لوقتها من الغد» (عن أبي قتادة، أبو داود، الترمذی، النسائی، ابن ماجه، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٠٩٣-٢٤١٠).

وإذا فعل الإنسان ذلك بأن يضطجع أو ينام استعداداً للقيام بنوع من العبادة بعد ذلك (وهي ليست بالصلاة فقط كما سيتضح من أمثلة

تالية أخرى)، فإنه حتى مع وقت اضطجاعه أو نومه هذا يكون في حالة عبادة يؤجر عليها إن شاء الله وذلك استرشاداً بالحديث الشريف: «إذا نعت أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم...» (سبق ذكره). وحيث يعتبر النائم في تلك الحالة في حالة صلاة وإن لم يؤديها بالفعل طالما أنه يعد نفسه لفعلها. ويتأكد لنا ذات المدلول مما ورد في الحديث الشريف: «إن الناس قد صلوا وناموا، وأنتم لا تزالوا في صلاة ما انتظرت الصلاة، ولولا ضعف الضعيف، وسقم السقيم لأمرت بهذه الصلاة أن تؤخر إلى شطر الليل» (عن أبي سعيد، النسائي، وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٩٧٦-٨٨٦). ويتركز المدلول المستهدف بصفة خاصة في الحديث السابق في قول الرسول ﷺ: «وأنتم لم تزالوا في صلاة ما انتظرت الصلاة».

(٢) التنوع والتجديد تجنباً للملل: فحتى العبادة برغم قدسيته وعظم دورها في توطيد صلة العبد بربه، فلا يجب على الإنسان الاستمرار فيها بشكل مبالغ فيه حتى لا يصاب المتعبد بالملل، وكما ذكرنا من قبل فإن العبادات لها أشكال وأنواع بالغة التنوع، وأنه حتى ما يقوم به المرء لتحقيق سعادته الخاصة يعتبر عبادة في حالة نيته أن يجعلها لوجه الله. فيمكن بذلك للإنسان أن يقوم بجزء من وقت الفراغ في أداء أحد العبادات المتعارف عليها كأداء صلوات التطوع مثلاً، كما يمكنه أن يخصص جزءاً آخر في ممارسة أحد أنواع الرياضات أو الترويح عن نفسه بالخروج مع الأهل أو الأصدقاء في نزهة يتمتع فيها

بما خلق الله من مظاهر طبيعية خلابة.. الخ ولكن حتى يصبح ما يفعله من قبيل العمل الذى يحسب له وليس عليه، فيجب على المرء أن يراعى اتباع التعاليم والأحكام الشرعية الضابطة مثل ارتداء الملابس الشرعية وعض البصر، والتسييح بعظمة الله عند رؤية زهور جميلة مثلاً.. الخ. وبالرجوع إلى السنة المطهرة، نستدل على وجوب التنوع والتجديد تجنباً للملل وذلك كما قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده، لو كنتم تكونون في بيوتكم على الحالة التى تكونون عليها عندي، لصافحتكم الملائكة، ولأظلتكم بأجنحتها، ولكن يا حنظلة! ساعة وساعة» (عن حنظلة الأسدي؛ أحمد بن حنبل، مسلم، الترمذى، ابن ماجه، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٧٠٧٣-٢٤٠٢).

(٣) من العبادات التى لا تتطلب مشقة: الذكر والتسييح والدعاء والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ: فبدلاً من ترديد كلمات الأغاني المهابطة وتعويد اللسان على التلفظ بالكلمات الحادشة للحياء بحجة تبادل النكات ومحاولة (الفرفشة)، يمكن للإنسان أن يرطب لسانه ويجلوه بعبادة التلطف بكلمات وعبارات تحسب له في رصيد حسناته وتجعله دائماً في معية الله وهى مع ذلك لا تكلف المرء أى نوع من المشقة التى قد يعانى منها في حالة قيامه بالصلاة خاصة صلاة الليل، أو بشعائر الحج على سبيل المثال. والواقع أن تلك العبادة الخفيفة يمكن أداؤها حتى في أوقات عمله وليس فقط في وقت فراغه. ومن ذلك

ذكر الله وتسيحه الذي يعود على الإنسان بالسكينة والطمأنينة مما يعتبر نوعاً ضمناً من الاسترخاء الذي يمكن أن يتمتع به الإنسان حتى وهو في وقت العمل. «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد: ٢٨). وفي ذلك أيضاً اقتداء برسول الله ﷺ «كان يذكر الله تعالى على كل أحيائه» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٤٩٤٣).

والواقع أن التسيح وذكر الله يمكن أن يساعد الإنسان على الترويح الإيجابي (الفعال) وتيسير الأعمال الشاقة المكلف بها حتى أن الرسول ﷺ جعله وسيلة أفضل من الاستعانة بخادم فحين احتاجت ابنته فاطمة إلى خادم لإعانتها في الأعمال المنزلية الشاقة وكان زوجها يعاني من ضيق اليد قال لها الرسول ﷺ: «ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تسبحين الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين ثلاثاً وثلاثين. وتكبرين أربعاً وثلاثين، حين تأخذين مضجعتك» (صحيح مسلم. في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٢٦١٦-٢١٠٧). وعلى الرغم من أن الدعاء يقوم به الإنسان بهدف تحقيق مصلحة له أو لمن يريد، فقد أكرمه الله بأن جعل ذلك الدعاء عبادة يثاب عليها «الدعاء هو العبادة» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٣٤٠٧). وبالتالي، فحتى لو كان الإنسان في حالة عمل تكسبي، فيمكنه أن يخفف من وطأة مشقته على نفسه أو أن يستعين على ما يمكن أن يكتشفه من

مضايقات بالترويح عن نفسه بالدعاء وبدون أن يحتاج إلى تخصيص وقت معين للحصول على ذلك النوع من الترويح.

كما يمكن أن تحدث ذات الاستفادة بأمر متشابهة أخرى مثل الاستغفار ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٢). كما يرشدنا رسول الله ﷺ إلى ذلك بما كان يفعله هو نفسه: «والله أنى لاستغفرن الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٧٠٩١). وحتى في عبادات ترطيب اللسان التي يمكن الترويح بها عن النفس في جميع الأوقات شاملة أوقات العمل، فهناك تنوع كبير متاح للإنسان بشأنها، فبالإضافة إلى ما سبق، يمكن أيضاً الإكثار من ذكر عبارات التوكل على الله «أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنز الجنة» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٢٠٥)؛ وكذلك الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ «أكثرُوا الصلاة عليّ، فإن الله وكلّ بي ملكاً عند قبري، فإذا صلى عليّ رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة» (حسن، صحيح الجامع الصغير، ج ١، ١٢٠٧-٥٤٣).

(٤) التفقه في الدين وتلاوة القرآن وحفظه والتدبر المتأنى في

معانيه: ولا نقصد هنا الحصول على العلم بشكل رسمي ومنتظم من خلال إحدى المؤسسات التعليمية الدينية بالضرورة، فيمكن أن يحدث

ذلك أيضاً من خلال مجالس العلم والتعلم الدينى داخل أروقة المساجد، وكذلك يمكن للفرد تكوين مكتبة دينية متنوعة يستتير بمحتوياتها كلما أتبح له وقت لذلك. لكن على المرء أن يبدأ أولاً بالقرآن فيتعلم كيفية تلاوته ويحاول فهم معانى كلماته والتدبر المتعمق لدلولاتها وكتابة ملحوظات حولها بحيث ينتهى بمرجع مركز يمكن أن يستفيد به هو وغيره. وقد رغب الله في ذلك حيث يقول الرسول ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٣٣١٩). وقد وعد الله سبحانه وتعالى المداوم على تلاوة القرآن بالخير الوفير ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩). ويمكن للمرء أن يحدث نوعاً من التنوع هنا بأن يتدارس الأحاديث النبوية الشريفة وكتب الفقه والسيرة وغيرها من الكتب الإسلامية التي يمكن أن تجنب قارئها مخاطر الوقوع فى مصيدة بعض الكتابات الملوثة فكرياً. أما عن كتب السيرة وقصص الأنبياء والصحابة والصالحين والتائبين والعلماء وأمثالهم، فهي تمثل بحق مادة فكرية ممتعة لأى قارئ كما أنها يمكن أن تفيد القارئ فى نفس الوقت بتقديم تجارب لنماذج بشرية أولى بالافتداء.

(٥) تفقد أحوال الأولاد: ولا نقصد هنا الأعمال الشاقة التي يتم بذلها فى رعاية الأولاد وتربيتهم، ولكن المقصود هنا الأعمال الإشرافية والتوجيهية المختلطة بالمداعبات والسلوكيات الطفولية التي

يمكن أن تنطوي على جانبين أحدهما تربوي إرشادي توجيهي للصغار، والآخر ترفيهي وترويحي حتى للكبار وذلك مثل القيام برواية قصص للأطفال ومشاهدة أفلام كارتون تربوية هادفة وممارسة هوايات بناء لمهارات الذكاء لدى الأطفال. وكذلك الإنصات إلى آراء هؤلاء الصغار وتوجيهها إلى الاتجاه المناسب.

وهناك بعض الوسائل والأشكال التربوية الإشرافية الأخرى التي يجب القيام بها تجاه الصغار وفي نفس الوقت يمكن دمجها ضمن أنشطة وقت الفراغ لأنها كما أوضحنا من قبل قابلة للاختلاط وللتداخل مع الأعمال الترفيهية كما أنها لا تتطلب مشقة مثل تلك التي تتطلبها الأعمال المعيشية والتكسبية التقليدية، ومن بين الوسائل التربوية التي وردت في التوجيهات الإسلامية متابعة أداء الصغار للفروض، «علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم في المضاجع» (عن أبي هريرة، صحيح أبي داود، ٥٠٨)، كما يجب التلويح المستمر بالعقاب لتجنب الوقوع في الخطأ منذ البداية «علقوا السوط حتى يراه أهل البيت» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٠٢١)؛ وفي رواية أخرى لحديث حسن: «علقوا السوط حتى يراه أهل البيت، فإنه أدب لهم» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٠٢٢). وكالحال عند تربية الكتاكيت والقيام بتجميعهم وقتما يحل المساء ووضعهم في مكان مغلق لحمايتهم من القطط المفترسة التي عادة ما تظهر في المساء وتهدد بالتهام تلك

الكتاكت الضعيفة، فإنه يجب أيضاً فى ذات الوقت الذى يشارف على الظلام وهدأة الرجل أن يتم تجميع صغار الأولاد فى غرفة مع والديهم مع إغلاق الباب عليهم تحرزاً من الشياطين والمخلوقات الليلية وحماية للصغار من احتمال إصابتهم بأذى منهم. فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا غربت الشمس فكفوا صبيانكم. فإنها ساعة ينتشر فيها الشياطين» (صحيح الجامع الصغير وزيادته. ج ٢. ٦٩٢).

(٦) صلة الرحم والتواصل مع الجيران: فمن الثابت أن صلة الرحم من وسائل زيادة الرزق وبركته ونمائه، كما أن الإحسان إلى الجار من الأمور التى ورد وجوبها فى كثير من النصوص الشرعية. ومن الأمثلة على ذلك الحديث الشريف: «من أحب أن ييسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه» (صحيح الجامع الصغير وزيادته. ج ٢، ٥٩٥٦)؛ والحديث الشريف: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٥٠١). وبوجه عام، فإنه يمكن اعتبار صلة الرحم والإحسان إلى الجار أحد الأشكال التعبديّة حيث يثاب من يسعى إلى تحقيقها ويعاقب من يفعل عكس ذلك.

ويلحق بصلة الرحم، صلة أصدقاء الوالدين «من البرّ أن تصل صديق أبائك» (صحيح الجامع الصغير، ج ٢، ٥٩٠١)؛ «من أحب أن

يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده» (صحيح الجامع الصغير، ج ٢، ٥٩٦٠). بل إن التواصل الذى يحدث بين الفئات المعنية يمكن أن يمتد إلى تحقيق المصالح الذاتية الدنيوية التى تتمثل فى إمكانية المشاركة فى أنشطة تكسبية أو تبادلية، بحيث يتم استفادة الغنى من الفقير بالمساعدة بالجهود العضلى أو بما يتميز به من خبرات، ويمكن أيضاً أن يعم خير ذى النفوذ على أقاربه؛ الذين يفيدونه بدورهم فى تدعيم نفوذه والدفاع عنه ضد الحاقدين وأعداء النجاح، وهكذا، كأن من تربطهم الأرحام أو ما شابهها من صلات قريبة هم أمم منفصلة - متكاملة القدرات والإمكانات ومتعددة الميول والخبرات والاحتياجات. وبالتالي يفترض أن يحدث تكامل بينهم بما يتيح فرصة تكوين (كتل) اقتصادى واجتماعى يمكن أن يكون نواة جيدة لتكتل اجتماعى قوى يتكون من مجموع تكتلات الأقارب المأمول تحقيقها على مستوى كل من تربطهم ببعضهم صلات رحم وقرابة وجيرة.

وهناك أشكال كثيرة ومتنوعة لتحقيق التواصل المنشود وذلك مثل تبادل الزيارات وجلسات السمر البرئية أو الخروج فى رحلات جماعية مع الأطراف المعنية (أقارب وجيران ومن فى حكمهم)، والمساعدة فى قضاء حوائجهم وفى حل ما يقابلهم من مشاكل وعثرات، وتبادل الاتصالات الهاتفية والأحاديث الودية، ويمكن أن تدخل الغالبية العظمى فى تلك الأشكال المتعلقة بصلة الرحم والتواصل مع الجيران ضمن وقت الفراغ الذى نتحدث عنه الآن،

حيث أنه يتعلق بأمر يمكن أن تنعكس آثارها الجميلة على نفسية الشخص وتساعد على الترفيه عنه كما أنها كلها أمور تتم خارج نطاق الأعمال المعيشية اللازمة للمرء ولمن يعول.

(٧) التزاور ومجالسة أهل الخير وذوى الخلق وإدخال السرور

على الغير: وهناك أدلة شرعية كثيرة تشجع على مثل تلك الأشكال البناءة لكيفية قضاء وقت الفراغ. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن رجلاً زار أختاً له في قرية أخرى، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً. فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال أختاً لي في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟ فقال: لا، غير أنى أحبته في الله تعالى. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه» (رواه مسلم). والتزاور لا يكون فقط بالذهاب إلى الآخرين ولكن أيضاً باستقبالهم وحسن ضيافتهم. وذلك ما جاء في الحديث الشريف: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يشوى عنده حتى يخرج» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٦٥٠٢-٢٢١٧).

ولقد حبيب الإسلام السعى إلى ما فيه الخير للناس وإسعادهم فما من شك في أن ذلك سينعكس عليهم بذات المشاعر من ناحية، كما أنه يتيح فرصة التواصل وتبادل المنافع والمصالح المعيشية من ناحية ثانية، بالإضافة إلى أنها تضمن تحقيق مناخ تعاوني تكافلي يصبح أكثر صلاحية للإنتاج وللتقدم الإيجابي. وهناك كثير من الأحاديث التي تدل

على ذلك ومنها: «من أفضل العمل إدخال السرور على المؤمن، تقضى عنه ديناً، تقضى له حاجة، تنفس له كربة» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٥٨٩٧)، «ما من رجل يعود مريضاً مريضاً إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، ومن أتاه مصباحاً خرج معه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتى يمسي» (صحيح الجامع الصغير، ج ٢، ٥٧١٧): «كان يكثر الذكر، ويقبل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمسي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضى له حاجته» (صحيح الجامع الصغير، ج ٢، ٥٠٠٥)؛ «كافل اليتيم له ولغيره^(١) أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار الراوى وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى^(٢) «أى قريب اليتيم أو الأجنبي منه الذى يقوم برعايته. رواه مسلم فى شرح رياض الصالحين، ج ٢، ٥٨٩٧، ص ٧٠)؛ «أحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ إرحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٨٠).

(٨) زيارة القبور وزيارة الأماكن الطاهرة والمقدسة: ما من شك فى أن زيارة القبور يمكن أن تفيد الإنسان فى تذكره الدائم بحقيقة تواجده (المؤقت) على أرض الحياة مما يعينه على تحمل صعوباتها والاستهانة بآثارها المؤقتة مهما طال أمدها، والسعى الأكثر جدية إلى كل ما من شأنه أن يقربه إلى الله ويزيد من ميزان حسناته الأخرى،

كما أن في زيارة القبور تذكير دائم للإنسان بمقره النهائي.. ومن الأدلة الشرعية على الحث على زيارة القبور قول الرسول ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرًا» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٤٥٨٤).

وبطبيعة الحال فإن التردد على المساجد وحضور المحافل العلمية والدينية والثقافية البناءة يمكن أن ينطوى على فائدة مزدوجة للإنسان يتمثل أحد شقيها في الترويح عن النفس، ويتمثل الآخر في التغذية العقلية وتنمية المهارات والخبرات وصقلها بما يساعد على رفع مستوى الكفاءة والأداء الإنتاجي والتكسيبي.

وبعد سرد الأمثلة السابقة على كيفية قضاء وقت الفراغ وفقاً للتوجيه الإسلامي، ترى هل يرفض الإسلام (اللهو) بشكل مطلق؟! ذلك ما سنحاول إلقاء الضوء عليه في الجزء التالي.

ثالثاً: نظرة الإسلام للهو والترفيه: اتضح في الاقتصاد الوضعي أن وقت الفراغ عادة ما يقضيه الإنسان في أحد مجالات اللهو والترفيه Entertainment والتسلية Amusement وكلها مرادفات متشابهة لمعنى واحد يعنى أعمالاً لا علاقة لها بالإنتاجية الإيجابية التكسيبية. فهل يا ترى يتوافق ذلك مع الرؤية الإسلامية؟! الواقع أن هناك حديثاً نبوياً صحيحاً يمكن أن يقدم لنا إجابة واضحة ودقيقة وحاسمة على ذلك التساؤل. فعن جابر بن عبد الله وجابر بن عمير أن رسول الله ﷺ قال:

«كل شئ ليس من ذكر الله هو ولعب، إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشى الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة» (النسائي، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٤٥٣٤). وهناك أيضاً حديث آخر يقول فيه الرسول ﷺ: «اللهو في ثلاث: تأديب فرسك، ورميك بقوس، وملاعبتك أهلك» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٥٤٩٨). وقد اعتبر النبي ﷺ أن الرماية خير أشكال اللهو المباح في الإسلام كما جاء في الحديث الشريف: «عليكم بالرمى فإنه من خير هوكم» (رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح، فقه السنة للسيد سابق، ص ٦٠).

ومن القصص الطريفة التي توضح كيفية هو الأزواج مع الزوجات اقتداء برسول الله ﷺ، قصته مع عائشة رضي الله عنها حيث اعتاد أن يشاركها لعبة الجري والتسابق. وفي ذات مرة كان الرسول ﷺ يتسابق معها فسبقته لأنها كانت أصغر سناً وأخف وزناً منه؛ وفي مرة تالية تسابقا فسبقها فقالت عائشة رضي الله عنها في ذلك الأمر: «سأبقت النبي ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم سأبقته فسبقني. قلت: هذه بتلك» (رواه البخاري/ فقه السنة للسيد سابق، ص ٥٩).

ومما سبق، يتضح أن وقت الفراغ عند الإنسان المسلم يمكن أن يتم قضاء نصفه تقريباً في أداء العبادات المفروضة والتطوعية والنصف الآخر فيما يحلو للإنسان أن يفعل وفق ما يرغب بشرط أن يكون ذلك في إطار الضوابط والتوجيهات الإسلامية التي سبق توضيحها عليه

بمحيث يضمن المسلم أن يكون كل ما يفعله ويقضى لحظات حياته عليه بمثابة وسائل لإسعاده في الدنيا والآخرة معاً، ولقد استنتجنا ذلك المعيار (النصفى) من قول الرسول ﷺ «ساعة وساعة» وحتى وإن لم يكن يقصد بكلمة «ساعة» التوقيت الزمنى التقليدى الذى نعرفه (وهو ما يتعلق بساعة زمنية تتكون من ٦٠ دقيقة أو من ٣٦٠٠ ثانية)، إنما التصنيف بساعة فى مقابل ساعة يمكن أن يرشدنا إلى معيار قياسى (لنسبية الوقت المخصص) لكل من العمل التكسبى والمعيشى (ساعة) ووقت الفراغ (وساعة)، كما اتضح أن الإسلام لا يرفض اللهو ولا الترفيه ولكن يهذبهما ويتيحهما للإنسان الرشيد فى ثوب نقى راق وذلك على نحو ما بيناه سابقاً.

وبناء على ما سبق، يتأكد لنا أن الإسلام يرشدنا إلى أن الإنسان يحكمه جانبان متكاملان؛ أحدهما روحى والآخر مادى. ولا يمكن أن يتحقق أى وضع توازنى منشود فى عالم الاقتصاد (الموجه للرقى بالإنسان وتحقيق أقصى سعادة ممكنة له) ما لم تتم مراعاة الجانبين معاً. ولقد بالغ الاقتصاديون فى الانغماس فى الجانب المادى لكننا هنا نحاول استعادة تلك الأوضاع المائلة بشدة ناحية الاتجاه المادى إلى التوجه نحو الجانب الروحانى المقابل حتى تتم استعادة الأمور والأوضاع إلى توازنها الطبيعى. وما سبق عرضه لا يتطلب مزيداً من التوضيح عن الأبعاد الاقتصادية الإيجابية الكامنة فى كل ما ذكرناه ولكنه يتطلب عقولاً بحثية غير متحيزة تقرأ، وتستقرئ، وتستنبط.

٦/٣ : بعض الدروس المستفادة حول الوقت في حياة الأنبياء:

بالتوغل في قصص الأنبياء التي تنطوي على أخبار ودروس باللغة التميز لفئة بشرية تتربع على قمة الرقى البشرى، استطعنا أن نشق بعض النقاط التي يمكن أن تفيدنا في التعرف على المزيد حول أهمية الوقت وبعض الأبعاد الأخرى المتعلقة به. وإن كان ذلك لم يكن يمثل عنصراً أساسياً في بناء القصص المذكورة ولكننا نؤمن بإتصاف القصص القرآني بالثراء غير المحدود في الفكر وفي التجارب وفي الدروس المستفادة. فقط على القارئ أن يقرأ، ويستقرئ، ويتعمق بين طيات الأحرف ولن يخرج بعد هذا خاوي الوفاض الفكرى أبداً. وهانحن نعرض بعضاً من القواعد العامة والدروس المستفادة التي يمكن أن نستفيد بها من استقرائنا للقصص القرآني النبوي، في تعميق وتأصيل جذور نظرية الوقت وفقاً للرؤية الإسلامية وتوجيهاتها الرشيدة.

(١) في الحياة الدنيا لكل وقت نهاية لأنها ذاتها لها نهاية (قصة

آدم عليه السلام):

فعندما عصى آدم وحواء ربهما وقضى عليهما بالاستقرار على الأرض لم يكن ذلك الأمر بشكل أبدى مخلد ولكنه أشير بصراحة ووضوح بأنه سيكون (إلى حين) أى حتى وقت معلوم لا يعرفه إلا الله عز وجل. ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا

فَاخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿البقرة: ٣٦﴾.

وبالإضافة إلى قاعدة أن لكل وقت دنيوى نهاية، فهناك قاعدة
أخرى فرعية يمكن أن نستقها من المعنى المباشر للآية وهو أن الحكم
القضائى لا بد أن يرتبط بفترة زمنية ملائمة يجب على القاضى تحديدها
مسبقاً وقت تحديد العقوبة.

(٢) التعجيل الزمنى ما أمكن بالتخلص الصحى السليم من
مصادر التلوث البيئى ومسبباته (قصة هابيل وقابيل): وذلك الدرس
المستفاد ينفعنا فى مجال اقتصاديات الصحة والبيئة. فكثيراً ما نضج
بظواهر التلوث البيئى المنتشرة بشكل متصخم خاصة فى وقتنا
الحاضر، ومع هذا، مازالت الصحة تتفاقم أحوالها نتيجة لانتشار تلك
الملوثات بشكل غير صحى بين البشر والمخلوقات النافعة، وحتى إن تم
التخلص منها، فيكون بشكل بطئ أو فى ميعاد متأخر بعد أن تكون
الأعراض السيئة قد نالت أعداداً كبيرة من الفئات محل الرعاية
والتخوف. وفى قصة قابيل وهابيل، نجد أنه بعد أن قتل قابيل أخاه
هابيل لم تستطرد الآيات الكريمة فى توضيح ما سوف يلاقيه من عقوبة.
ووصف فحش ما قام به من فعل شديد البشاعة، وذلك بقدر ما
استطردت فى توضيح كيفية مواراة جثة القتيل ووسيلة تعليم القتيل
كيفية مواراتها بشكل سليم ويلاحظ أن القتال لم يبد ندمه عند القتيل.
ولكن ندمه الحقيقى شعر به عندما أدرك جهله بكيفية مواراة جثة أخيه

بالطريقة اللائقة. وتوضح تلك المعانى فى قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِئِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: ٣٠، ٣١).

ومن تلك الآيات الكريمة يمكن أن ننتهى باستنتاج ضرورة دفن جثة الميت بأقصى سرعة ممكنة لأنها تبدأ بعد وقت سريع فى التحلل والتعفن وبالتالي فهى تتسبب فى إيذاء البشر والمخلوقات الحية الأخرى بما يصدر عنها من روائح كريهة وأشكال تلوثية مكروهة جداً. وقد يكون ذلك وراء المقولة الشهيرة «إكرام الميت دفنه» وذلك أيضا حتى لا تتشوه صورة الإنسان الذى كان فى حياته يظهر للبشر بصورة حسنة نظيفة، فإذا وصل إلى درجة التعفن وانتشار الحشرات والبكتيريا فى أجزاء جسده وراه الناس على تلك الحال، فما من شك فى أن ذلك يسئ إلى الميت (حتى إن كان ميتاً) ويظهر فى أعين الناس وحواسهم بشكل غير مستحب ولا يتناسب مع آدميته التى كرمه الله بها.

وبطبيعة الحال، فإن التعجيل الزمنى بمواراة الموتى فى التراب ووضعهم فى مكانهم الطبيعى الذى يحمى البشر (الذين مازالوا يعيشون فى الأرض) من الآثار السيئة لما سوف يحدث فى وقت وشيك فى جثثهم، يرشدنا إلى ضرورة تطبيق ذات القاعدة على كل مسبب

للتلوث البيئي والصحي بتعجيل التخلص منه بالشكل المناسب وفى المكان المناسب فلا نترك مثلاً القمامات المتراكمة في الطرق والأماكن المأهولة بالسكان لفترات زمنية مهمة مهما قصرت، ويجب أيضاً أن نتنبه إلى مشكلة تراكم مخلفات العمليات العلاجية فى المستشفيات وغيرها من الوحدات الصحية وعدم سرعة التخلص منها حيث أن ذلك لا شك لا يعرقل ما يحدث داخل تلك الوحدات الصحية من عمليات علاجية فحسب، وإنما أيضاً يمكن أن يقضى على فعاليتها وجدواها من الأصل.

(٣) الارتباط المطرد بين أهمية الصناعة والإنتاج، وبين طول

الفترة اللازمة للإنجاز (قصة نوح عليه السلام): فنوح عليه السلام كان أول رسول يبعث إلى أهله فى الأرض (الإمام الحافظ بن كثير، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٥٤)، ونتيجة لعناد الغالبية العظمى من قومه (ويقال لهم بنو راسب) وإصرارهم على الكفر، أوحى الله تعالى إليه ببناء سفينة ضخمة لكى ثقله ومن تبعه من البشر مع أزواج من كل المخلوقات الأخرى وقت الطوفان المعروف. ويتضح من الآيات الكريمة بشكل غير مباشر- أن تلك العملية الصناعية للسفن قد استغرقت وقتاً طويلاً ليس فقط فى صنعها ذاتها، ولكن أيضاً فى توفير الخامات اللازمة لإعدادها بالشكل الملائم للعملية المستهدفة لتصنيعها. كما يتضح من الآيات الكريمة أن طول فترة التصنيع لا تنطوى فقط على مشقة بدنية للمنتج والصانع المشاركين، ولكنها أيضاً قد تعرض أصحابها الجادين لمشاكل معنوية وإحباطية خاصة من

قبل البشر، حيث يزداد احتمال حدوث ذلك إذا لم يكن الهدف النهائي من استخدام المنتج غير واضح تماماً لدى العامة، وبطبيعة الحال فيمكن لذلك أن ينطبق على الصناعات الإبداعية المتكررة.

من أجل هذا، يتوقع للصناعات طويلة الأجل أن تنطوى على مشاكل أضخم وأكثر تعقيداً من نظائرها قصيرة الأجل، وذلك الذي يمكن أن يفسر عزوف كثير من (المتكاسلين) عن تحمل مخاطر ذلك النوع من الصناعات كما أن ذلك يفسر أيضاً السبب في (تقديم) الأفراد والدول التي تُقدم على إنجاز ذلك النوع وتفوقهم على غيرهم، بل وتمتعهم في غالبية الأحوال بأشكال أفضل من الشراء وارتقاء مستويات المعيشة، والسبب في هذا يكون غالباً نتيجة لانطباق القاعدة المستنبطة من تلك القصة النموذجية والتي أشرنا إليها كعنوان فرعى، وهو أنه بقدر تلك المشقة والمخاطرة التي يتحملها المنتج وطول فترة ذلك التحمل، بقدر ما يتوقع للصناعة من ارتفاع في مستواها، بل ومن طول أمد زمني في الاستفادة منها وفي التمتع بآثارها الإيجابية الفعالة أيضاً.

كل ما سبق تم استنباطه استرشاداً بالآيات الكريمة: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ يَا عَيْنَنَا وَوَحِينَنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿١٠٠﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿١٠١﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿١٠٢﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ

التَّشْوُرُ فُلْنَا أَحْمِلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ الثَّنِينِ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ
الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤١﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ
مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿هود: ٣٧-٤١﴾.

(٤) هناك ارتباط وثيق بين الحلول وبين الوقت الزمني (كأمثلة:

قصة إبراهيم وزوجته هاجر وابنه إسماعيل؛ قصة أيوب؛ قصة يوسف؛
محمد والمقاتلين معه):

من السمات الواضحة في طبيعة الخلق البشري أن الإنسان دائما
يتعجل كل شيء، يتعجل تحقيق الأهداف والآمال، يتعجل جني ثمار ما
أداه من عبادات وابتهالات، يتعجل التخلص مما يعاني من كرب
وضيق ومشاكل تعترض حياته... الخ.

ولقد أشار الله إلى تلك المعاني في مواضع مختلفة من القرآن
الكريم مثلما نجد في الآيات الكريمة: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾
وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ (القيامة: ٢٠، ٢١)؛ ﴿خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ
سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعِجِلُونِ﴾ (الانبيا: ٣٧)؛ ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ
دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الاسراء: ١١).

والواقع أن القصص القرآني يذخر بالدروس المستفادة التي تؤكد
على تفاوت الفترة الزمنية التي يمكن أن يتحقق بعدها الهدف المرجو
ونركز اهتمامنا هنا على استهداف التخلص من مشكلة معينة أو من
موضع معين غير مرغوب فيه حيث يمكن أن تفيدنا مثل تلك الدروس

ليس فقط على مستوى الفرد أو الأسرة، ولكنها توضح لنا أن المشاكل المتراكمة التي تعاني منها الدولة خاصة إذا كانت ذات اقتصاد ضعيف في الأصل - يجب أن يتم حلها بشكل تدريجي ومرحلي مع الصبر على ما يحدث من نتائج وعدم إبداء الحكم النهائي على منفذى القرار (ومتخذيهِ) إلا في نهاية الفترة التي حددها هؤلاء - وفقاً لدراساتهم وتصوراتهم - مع ضرورة الانتباه إلى أن هناك توقيتاً (إلمياً) مهمماً على كل ما تم وضعه من توقيتات بشرية لتحقيق الأهداف والحلول المرجوة. والعبرة في التقييم البشري للموقف المعنى - إذن يكون ببذل الإنسان أو الدولة كل ما وسعه بشكل جاد ومخلص.

ففي قصة سيدنا إبراهيم وزوجته سارة وابنهما إسماعيل عليهم السلام نجد أحد الدروس المستفادة للتأكيد على اعتبار الوقت كأحد العناصر المرتبطة بحلول المشاكل والأمور، حيث يوجد الحل اللحظي نتيجة لارتباطه بنتيجة مصيرية تتعلق بحياة الإنسان وذلك حين هم إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام امتثالاً لأمر الله سبحانه ففي تلك اللحظة المصرية المرعبة، أنزل الله سبحانه وتعالى كبشاً كحل بديل فوري ليم ذبحه بدلاً من الإنسان وكان ذلك من فضل الله الذي منَّ به على البشر أجمعين وإلا أصبح ذلك واجباً على البشر من بعد ذبح إسماعيل عليه السلام. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿قَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١١﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

المُحْسِنِينَ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ وَقَدَيْتَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ ﴿
(الصفات: ١٠٢-١٠٧).

وفى موضع آخر من قصة هذه العائلة الكريمة نلاحظ أن حل مشكلة أو أزمة أخرى تم على أجل زمنى أطول نسبياً لحكمة أرادها الله وهى قيام كل الحجاج من البشر بعد ذلك أثناء شعائر الحج بما قامت به السيدة هاجر عليها السلام من تحركات متتالية بحثاً عن الماء. فقد نفذ ما كان معها من ماء وشعر ابنها بالعطش الشديد حتى أنه كان يتلوى مما دفعها إلى البحث عن ماء لتسقى به ولدها فذهبت إلى الصفا الذى كان أقرب جبل إليها ونظرت من خلاله باحثة عن وادى يتوقع أن يكون به زرع وماء وعندما أبصرت به نزلت إليه فلم تجد أى ماء وظلت تسعى باحثة حتى بلغت المروة فقامت عليها وظلت تبحث من خلال تلك البقعة عن ضالتها المنشودة، ولم يتحقق ما أرادت إلا بعد أن كررت نفس ما فعلت سبع مرات، وبذلت ما يبذله الإنسان من مشقة ومجهود معتادان في مثل تلك المواقف، وبعد ذلك أراد الله سبحانه أن يحل لها المشكلة عندما أرسل لها ملكاً أظهر لها بئر زمزم التى أصبح الناس يستفيدون من مياهها المقدسة حتى الآن. أى أن الحل هنا أصبح سارى الآثار الإيجابية على الأجل الطويل كما أنه لم يتم بشكل لحظى (القصة واردة فى: الإمام الحافظ ابن كثير، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٢٥).

ومن القصص التي يندر ألا يعرفها أحد من المسلمين حتى صغار السن منهم والتي يمكن أن تفيدنا في ذلك المقام هي قصة سيدنا أيوب عليه السلام. ففي تلك القصة نجد أن الله سبحانه وتعالى ابتلى ذلك النبي الصالح بالمرض والفقر وكذلك سلب منه كل ما كان ينعم به من أولاد وأهل ولم يبق له سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله سبحانه وتعالى. وفي تلك القصة الشائقة الرائعة، نجد أن الحل لم يتم إلا بعد سنوات من المعاناة الشديدة لذلك العبد الصالح برغم صبره ومداومته على ذكر الله والدعاء له. فعندما أرادت المشيئة الإلهية واقتضت، ألهم الله سبحانه وتعالى أيوب عليه السلام بالوسيلة السليمة للاستشفاء، وعوضه بأفضل مما كان عليه حاله قبل المعاناة من ذلك الابتلاء الاخطبوطي، وحتى مشكلته مع زوجته الصابرة حلها الله سبحانه وتعالى ولكن بعد أجل زمني أيضاً وصدق الله العظيم في قوله الكريم: ﴿وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذْنَا بِيدِكَ ضِغْفَافًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤١-٤٤).

إذن، فقصة أيوب عليه السلام تشير إلى أحد أنماط الحلول وهي الحلول الآجلة، والحلول طويلة الأجل حيث نقصد بالحلول الآجلة تلك التي لا تحدث إلا بعد أجل زمني طويل، ونقصد بالحلول الطويلة الأجل تلك التي تمتد آثارها الإيجابية المرغوبة على أجل زمني طويل.

أما عن قصة يوسف عليه السلام، فهي أكثر شيوعاً حتى بين غير المسلمين - وكلنا نعرف أن مشاكلة تم التغلب عليها وحلها على أجل بعيد أو طويل جداً، فقد ظل في معاناة متراكمة الأنماط وممتدة الفترات الزمنية منذ أن كان طفلاً صغيراً وألقاه إخوته في البئر بقصد التخلص منه ثم تم بيعه بثمن بخس باعتباره طفلاً لا قيمة له، ومروراً بقصة الإغراء من قبل امرأة العزيز وانتصاره على هوى النفس ومع ذلك يتم حبسه لمدة طويلة ثم يعاقبه الله بمد فترة حبسه لفترات طويلة نسبياً بشكل إضافي نتيجة أنه نسي الله ربه، والتمس الإفراج عنه من البشر الذين لا يملكون في الواقع من الأمر شيئاً... وتبدأ الانفراجه بعد تعيينه على خزائن الأرض ولكن تبقى مشكلته مع أشقائه الذين يسوقهم الله إليه ليسمع منهم افتراءاتهم عليه، التي يصرون - برغم أخطائهم على إلصاقها به ومع هذا يظل على صبره عليهم ويستمر في سلوكياته وردود فعله الحكيمة الرشيدة وفقاً لما علمه الله وفي إطار المنهاج التربوي الرباني الذي نشأ وترعرع عليه طيلة السنوات الطوال العصيبة من حياته.. وبعد كل ذلك العمر الطويل من حياته (الذي يربو على العشرين عاماً كما جاء في بعض الروايات)، تتم الحلول النهائية، وتتحقق رؤياه المبشرة التي كان قد رآها وهو طفل، ونصحه والده بعدم إخبار إخوته بها تجنباً لحسدكم ولأذيتهم... ولكن، حقاً (لا يمنع حذر من قدر) و (كل شئ بأوانه).

ولضيق المساحة هنا، ولسبب أهم وهو الثراء الكبير لما تضمنته سورة يوسف من دروس رائعة يمكن أن تفيد في هذا الصدد، فإننا نوصى بالرجوع إليها في كتاب الله وتدبر كل آية، بل وكل كلمة وردت فيها، فهي بحق قصة شاملة رائعة وهي بمثابة دليل متكامل للسلوك البشرى القويم خاصة في حالات الابتلاءات والهموم.. والمهم أن يتدبر القارئ المتمعن لتلك السورة المرشدة ويلاحظ أنه لم يحدث حل فوري لأى شكل مما عاناه يوسف عليه السلام من ابتلاءات، وأنه حتى لو بشر الإنسان برؤيا صادقة عن سعادة تتحقق له فليس بشرط أن يتحقق ذلك فى اللحظة والتو، ولا حتى فى الأجل القصير، ولا فى الأجل الطويل، بل يمكن أن يتحقق فى الأمد البعيد، بل والبعيد جداً حيث يحدث الاستسلام والرضى الكاملين بما عليه الإنسان من حال، وحيث لا يتوقع الفرج (برغم انتظاره آملاً فى الله عز وجل) تحدث المفاجأة الإلهية الرائعة، وتتابع الحلول وتتوالى الجوائز.. والعبرة على أية حال بمفاجآت الآخرة الجميلة.

ومن القصة السابقة يمكن أن يتضح لنا درس بالغ الأهمية وهو أن توقيت الحلول عادة ما يكون غير متوقع للإنسان، وعادة ما يحدث بعد أن يكون الإنسان قد بذل كل ما فى وسعه لإيجاد تلك الحلول، وسعى لها سعيها الشاق والكافى، وهو درس تربوى إلهى يلقيه الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين على وجه الخصوص حتى يظلون على تبيعتهم خالقهم ويظل يقينهم قائماً على أن كل شئ بيد الله وحده مهما بذلوا

من محاولات وجهود، وحتى لا يأخذ الإنسان الفرور ويدعى أن كل ما يتمتع به من علم أو ثروة أو من أرباح إنما أوتيته على علم منه أو نتيجة لقدراته الذاتية البحتة فإن ذلك من شأنه أن يوقعه في أحد أشكال الشرك القبيحة والمدمرة.

والواقع أن في قصة النبي ﷺ ومن معه من المسلمين يوم الأحزاب تأكيداً على ما سبق ذكره من معنى وتوجيه وتأصيل لتلك القاعدة المتعلقة بالعلاقة الطردية الوثيقة بين الحلول وبين الوقت الزمنى. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤). فالمشكلة هنا كبيرة، وعلى الرغم مما بذله النبي ﷺ والذين معه من مسلمين من مجهود رائع وما بذلوه من بلاء حسن بل وعظيم جهاداً في سبيل الله ودفاعاً عن دينه، إلا أن الله سبحانه وتعالى امتحنهم امتحاناً عظيماً في ذلك الصدد حتى أنهم بلغوا من البلاء مبلغ الزلزلة. وفي ذلك تتضح بعض التفاصيل الأخرى المكملة لتلك الصورة الصعبة التي كان عليها المؤمنون وقتها في حديث صحيح: فعن خباب بن الآرت قال: قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال: «إن كان قبل أحدكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويعشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه» ثم قال «والله

ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الركب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون» (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٣٢١).

(٥) بركة الوقت (داود وسليمان عليهما السلام): يغفل كثير من البشر (خاصة الذين تطغى عليهم الناحية المادية ونزعها) ما لعنصر البركة من أهمية نسبية أكبر من مجرد الزيادة المطلقة في الأشياء المرغوبة لأن تلك الزيادة المطلقة لا تعتبر شرطاً كافياً لتحقيق النماء في أفضل صورة له حيث يمكن أن تقابل تلك الزيادة المطلقة خسائر أو تضحيات أو سلبات تقلل من صافي منفعتها بل وقد تقضى عليها تماماً وأحياناً أيضاً تفوقها. بينما إذا حل عنصر البركة بأى شئ فإنه يضمن النماء في أفضل صورة له بأقل خسائر أو سلبات ممكنة (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: زينب الأشوح، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

وما قيل سابقاً يمكن أن ينطبق على عنصر الوقت أيضاً بدليل أن هناك حديثاً نبوياً صحيحاً يشير إلى انخفاض البركة في وقت آخر الزمان الدينوى فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضربة^(١) بالنار» ^(١) أى الجمرة، أحمد بن حنبل، الترمذى، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٧٤٢٢-٢٦٠٢).

- ويمكن - على ضوء ما سبق- أن نستنبط معياراً لقياس بركة الوقت وهو- (مقدار أو حجم الإنجازات الإيجابية والفعالة ومقدار التوسع فى تلك الإنجازات وعدد المستفيدين من تلك الإنجازات أو النطاق الذى تنتشر فيه آثارها التى تتم فى خلال وحدة أو فترة زمنية معينة).

وبتطبيق ذلك المعيار على ما حدث فى حياة الأنبياء الصالحين عموماً نجد أنهم كانوا يتمتعون بنعمة بركة الوقت بدليل الطبيعة المتميزة لما كانوا يقدمونه وينجزونه من أعمال مع ضخامة أعداد البشر الذين كانت تعملهم تلك الأعمال. إلا أن هناك منهم من تمتع ببركة الوقت بشكل أفضل وأكثر تميزاً من غيرهم ونخص بالذكر هنا داود وسليمان عليهما السلام.

فقد كان كل منهما ذا قوة فى الدين، مضطلع بكل أعباء والتزامات الدعوة والنبوة والملك أيضاً، وكان داود عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل، وكان يعمل بالتجارة وبالصناعة كمهن تكسية معيشية، كما كان قاضياً يفصل فى قضايا الرعية بنفسه، وكان لا يكف عن التسبيح والذكر لله رب العالمين. وما من شك فى أن ذلك كله كان فى ذات الوقت الزمنى الذى لا يستطيع الإنسان العادى إلا القيام بأعمال المعيشة المعتادة بالكاد. إلا أننا نجد مثلاً يقرب إلى تصورنا آلية عمل عنصر البركة فى وقت داود عليه السلام وهو ما يتعلق بتعليمه كيفية صناعة الدروع الحديدية بحيث أتاح الله سبحانه وتعالى فرصة توفير الوقت الكبير المستغرق فى إعداد خامه

الحديد وتطويعها لكي تصبح صالحة التشكيل والتصنيع «وأنا له الحديد»، حيث جعل الله الحديد له خامة لينة كالشمع، والعجين بحيث يسهل تشكيلها وتصريفها في يده من غير الحاجة إلى عمليات الإعداد الشاقة التي تتطلب وقتاً زمنياً طويلاً مثل إحمائه بالنار وضربه بالمطرقة (المزيد من التفصيل حول تلك التسهيلات: ارجع إلى نواف بن صالح الخليسي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ص ١٠-١٢). وكان من مظاهر بركة الإنجازات ذاتها أنه عندما كان داود غلاماً راعياً للغنم ضعيف البنية مكنه الله تعالى أن يقتل جالوت الجبار بحجر أرسله من المقلاع فقط وليس بسيف أو برمح أو بأى سلاح، ولم يكن يقاتله وقتها أيضاً باستخدام أى معدات للحرب مثل الدروع أو التروس.

وبالمثل كان الحال مع سليمان عليه السلام الذي كان يتميز بظموح دنيوى كبير، وكان ينعم بالحكم والهيمنة ليس فقط على البشر، وليس فقط على المخلوقات المنظورة فقط، بل منحه الله نعمة تسخير الإنس والجن والطير والريح له وعلمه لغة الطير والحيوان بالإضافة إلى لغة الإنس وبطبيعة الحال أنه كان لا بد على علم بلغة الجن الذين يعملون جميعهم لديه وتحت أمره. يوضح ذلك الحال أنه عليه السلام كان يتمتع بدرجة كبيرة من بركة الوقت التي يستدل عليها مما كان يتحمله من كم المهام الهائلة الضخمة التي تفوق أى تصور بشرى، كما يستدل على الارتفاع الضخم لدرجة تلك البركة بذلك التنوع الكبير من المخلوقات التي يشملها برعايته الدنيوية وما يتضمنه هذا التنوع من

ضخامة أعداد لا يتصورها عقل. وفي ذات الوقت فقد كان سليمان
العليّ يتفقد رعيته بنفسه ويتولى إصدار الأحكام بنفسه أيضاً، ومن
أكثر الأدلة شيوعاً على ذلك تهديده بمعاينة الهدهد نتيجة لتأخره عن
ميعاد وصوله ما لم يكن هناك مبرراً منطقياً وراء حدوث ذلك (لمزيد من
التفاصيل ارجع إلى: زينب الأشوح، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، الحافظ بن
كثير، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

وقد يعترض قائل بأن القصتين السابقتين تتعلقان بمشالين أقرب
للخيال من الواقع الإنساني المعتاد لأنه لا يوجد من البشر على الأقل
المعاصر منهم من يتمتع بتلك الكرامات والمعجزات الإلهية، ويمكن
لذلك المعارض أن يرجع بركة الوقت للطبيعة المقدسة الفريدة لداود
وسليمان عليهما السلام كأنبياء يحظون دائماً بمعجزات لا تتاح لبشر.
ولكننا نذكر هنا أن ما سيقال عن هذين النبيين الكريمين لاشك
سينطبق على كل النماذج النبوية الأخرى التي اخترنا الحديث عنها في
هذا الصدد، لكن يجب ألا ننسى أبداً أن الله سبحانه لا يفعل شيئاً إلا
وله حكمة ومدلول.. حتى إن كان معجزة يختص بها فرد دون آخر
ونحن هنا نحاول أن نفتدى بتلك النماذج البشرية المثالية ونستقرأ ما
يمكننا من مدلولات وقواعد ومقاييس قابلة للتطبيق على حياتنا
البشرية المعتادة.

وبناء عليه، فإن بركة الوقت هي أمر موجود بالفعل وله عوامل
تزيد من جدواها وعوامل أخرى تتسبب في التأثير السلبي على آلية

تحققها أو جدواها (وللتعرف على ذلك يرجع إلى: زينب الأشوح، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، وبالفعل فإن أفضل معيار محسوس يمكن أن ندرکه لتحديد مدى وجود تلك البركة في الوقت من عدمها هو تطبيقها على حياتنا اليومية وعلى إنجازاتنا، ولتكن قصتي داود وسليمان عليهما السلام مع هذا قدوة نموذجية مثالية علينا أن نستفيد من أبعادها قدر استطاعتنا.

وبالإضافة إلى العوامل التي سبق توضيحها لترشيد تخصيص الوقت، فإننا يمكن أن ننوه إلى إمكانية تحقيق بركة في الوقت بحسن التنظيم والتخطيط والتعامل الجاد والجيد مع الوقت، ويجب أولاً وأخيراً أن نحترم الوقت ونعتقد أننا بقدر ما نعمل للوقت حساباً، فسوف يكون الوقت أكثر عطاءً لنا. ويجب أيضاً أن نتعامل بمعيار البركة السابق ذكره بشكل يتلاءم مع القدرات والإمكانات الفعلية للإنسان لأنه لو حاول أن يزحم وقته بالعديد من الإنجازات والالتزامات التي تفوق قدراته فسوف يحدث عكس المستهدف ويمكن أن يعجز عن فعل أي منها جزئياً أو بشكل مطلق.

(٦) وجوب تحديد أجازة أسبوعية من العمل التكميلي (أصحاب السبت): فكما بحث الدين والعقائد والقوانين، بل والفطرة البشرية على ضرورة قيام الإنسان بعمل ما من أجل التكسب وتوفير احتياجات المعيشة للمرء ولمن يعول، بل ومن أجل التمتع بحياة ذات غط طبيعي مقبول في حياة البشر، فإن القصص القرآني يشير إلى

نصيحة أخرى ضمنية تتمثل في وجوب الحصول على أجازة أسبوعية أو كل فترة زمنية يجب على الإنسان أن ينقطع فيها عن أداء عمله المادى مهما كانت فرص التكسب فيه وذلك على سبيل الاسترخاء وتجديد نشاط الذهن والبدن، والقيام بالالتزامات الأخرى المكتملة لضرورات الحياة ومتطلباتها كما سبق أن أوضحنا بتفصيل أكثر فى أجزاء سابقة من تلك الدراسة.

وبالرجوع إلى قصة أصحاب السبت، نجد أن الله قد أوجب على فئة بشرية يوماً معيناً من أيام الأسبوع (وهو السبت) كى ينقطع فيه هؤلاء عن القيام بالأنشطة الاقتصادية والتكسية التى اعتادوا على إنجازها طوال الأيام الأخرى من الأسبوع. وهنا نجد أن العلة من ذلك الأمر الإلهي ليست فقط مجرد تحقيق منافع شخصية كتجديد النشاط والتماس وسائل الراحة والتواصل بين الأقارب والأصدقاء. ولكن كانت هناك أسباب أخرى مختلفة وراءه سنوضحها بعد ذكر الآية الكريمة المتضمنة للجزء المعنى من قصة أصحاب السبت ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ^(١) إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(١) أى يعتدون فيه بمخالفة أمر الله فى شأنه (الأعراف: ١٦٣).

فوفقاً لتلك الآية الكريمة (وآيات فى سور أخرى مثل آية ٦٥ من سورة البقرة وآيتى ٤٧، ١٥٤ من سورة النساء وآية ١٢٤ من سورة

(النحل)، فإن الله سبحانه وتعالى كان قد فرض على أهل قرية ساحلية تسمى بقرية «آيلة» أمراً بعدم الصيد إطلاقاً في يوم السبت وبالتفرغ الكامل للعبادة فيه. وكان ذلك الأمر كنوع من الابتلاء وامتحان أهل هذه القرية في مدى طاعتهم لله عز وجل، خاصة أن الصيد البحري كان يمثل النشاط الاقتصادي الرئيسي لأهل تلك القرية، وبالتالي فإن التوقف عن مزاوله ذلك النشاط الحيوي يوماً كاملاً فيه ينطوي على قياس دقيق لإرادة هؤلاء في مدى امتثالهم لأوامر الله أو عصيانهم لها.

وبعيداً عن التوغل في الجوانب الأخرى الشيقة لتلك القصة المتميزة (حيث يمكن التعرف على مزيد من التفاصيل بالرجوع إلى: نواف بن صالح الحليسي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، مج ٢، ج ٣) فإننا يمكن أن نشق قاعدة هامة: وهي ضرورة الحصول على أجازة محددة بعد كل فترة عمل محددة ومحاولة ربط ميعاد تلك الأجازة بمدلول شرعي واضح. وقياساً على ذلك فإن يوم الجمعة هو من أكثر الأيام ملاءمة كأجازة للمسلمين حيث حرم في جزء منه ممارسة أى نشاط اقتصادي وذلك في خلال وقت خطبة الجمعة وأداء صلاحها، ويلاحظ أنه يجاز في ذلك المشال اقتطاع ذلك الوقت فقط كأجازة ومعاودة العمل في ما تبقى من اليوم بدليل إجازة الشرع بالانتشار في الأرض والاستمرار في السعي بعد انقضاء ذلك الوقت المقدس المفروض على كل مسلمي العالم أن يتفرغوا فيه تماماً

لأداء صلاة الجمعة والاستماع إلى خطبتها خاصة بالنسبة للرجال.
(وذلك كما أوضحنا بالتفصيل في جزء سابق).

وبناء عليه، فقد تكون الفطرة العقائدية البشرية وراء تخصيص يوم أجازة أسبوعى في كل بقاع العالم بشكل رسمى، حيث يختلف ذلك اليوم وفقاً لاختلاف العقائد والأديان، فجنده يوم الجمعة للمسلمين. ويوم السبت لليهود، ويوم الأحد للمسيحيين، ونحن نعتقد أن التوغل البحثى التاريخى والجغرافى ليوم الأجازة الأسبوعى لدى الطوائف البشرية المختلفة يمكن أن يكون مادة بحثية طريفة وجديدة، ويمكن أن تمدنا في النهاية بمعلومات مدهشة تكسر حدة ما يصيب مواضيع البحث العلمى أحياناً من رتابة وملل وجود.

(٧) العملة النقدية وإمكانية استخدامها كمؤشر زمنى للوقت

(أهل الكهف): فالعملة النقدية - في الواقع- تنطوى على أبعاد كثيرة توضح أهميتها الكبيرة، بل والمصرية في كثير من الأحوال. ومن بعض الدلالات الهامة على ذلك أنها مؤشر بالغ الأهمية على الهوية وعلى الأهمية النسبية لها، فمثلاً كان الدينار الإسلامى فى فترة الخلافة الإسلامية المزدهرة يتمتع بقوة كبيرة فى قيمته الذهبية الذاتية وفى قوته مقارنة بالعملات النقدية العالمية الأخرى وقد لا نكون مبالغين فى أن العملة الإسلامية آنذاك كانت تتمتع بذات الهيمنة التى أصبح يتمتع بها الدولار الأمريكى فى وقتنا المعاصر - أو تفوقها-، فقوة العملة النقدية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقوة الاقتصاد القومى المنتسبة إليه وتدل

أيضاً عليه. والعملية النقدية يمكن أيضاً أن تدل على النمط الاجتماعي والثقافي السائد من خلال شكلها الذي تم صكها عليه، وكلنا نعرف - كمشال على ما نذكر- أنه بمجرد انهيار النظام العراقي تم إعدام العملات النقدية الوطنية التي كانت تحمل صورة الرئيس السابق وبدء على الفور في صك عملات بديلة بشكل يتناسب مع العهد المستحدث.

أما في قصتنا الحالية، فيتضح لنا أن العملة النقدية يمكن أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمن وأن تستخدم للدلالة على فترة تاريخية محددة منه. ففي الآية الكريمة: ﴿...فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ...﴾ (الكهف: جزء من الآية ١٩). ووفقاً لما جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير (مج ٣، ج ٥، ص ٩١، ٩٢)، فإن أحد أهل الكهف بعد استيقاظه ذهب إلى المدينة (ويقال أن اسمها افسوس) لشراء الطعام له ولرفقائه فوجد الحال متبدلاً تماماً ومع هذا استمر إلى غايته وذهب إلى أحد بائعي الطعام لشراء ما يريد، وتبدأ الدلالة التي تفيدنا فيما نحن بصدده بما حدث بعد دفع النقود التي كانت مع أحد أهل الكهف المعنيين، وردود فعل البائع ومن أشهدهم على تلك العملة النقدية التي أنارت دهشتهم «فلما رآها ذلك الرجل أنكراها وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزاً فسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز ومن أنت؟ فجعل

يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدى بها عشية أمس وفيها دقيانوس
فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولى أمرهم...» والمعزى الواضح من
تلك القصة الشائقة أن اختلاف العملة النقدية هو الذى عرّف أهل
المدينة بأمر أهل الكهف وليس مظهر مبعوثهم، مما يدفعنا إلى استنتاج
أن (شكل العملة) يلعب دوراً أكبر من (شكل الإنسان) في الدلالة
على حقبة زمنية معينة وعلى اختلافها عما عداها.

والواقع أن ذلك يمكن أن يقودنا إلى نتيجة أخرى ذات أهمية
علمية خاصة، وهى إمكانية استخدام العملات النقدية فى التصنيف
التاريخى والجغرافى، واعتبارها من المؤشرات التاريخية الاقتصادية
أيضاً. وبناء على ذلك، فإن العملة النقدية المتداولة يمكن أن ترتبط
ارتباطاً وثيقاً بمجموعة محددة من الأحداث الاجتماعية أو السياسية
التي تتم على المستوى الخلى أو العالمى.

وبالقياس على ما سبق، فإن تلك الأحداث المتميزة يمكن أن
تستخدم بدورها فى التصنيف التاريخى الدقيق، بل أنها يمكن أن
تستخدم فى الفصل التاريخى بين حقبة سابقة يتم تجاهلها تماماً وحقبة
زمنية أخرى يبدأ فى الاعتراف بها وأخذها وحدها فى الاعتبار، وذلك
مثلما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يرجع إليه الفضل الأول فى
اختيار يوم الهجرة كبداية للتاريخ الإسلامى (عباس العقاد:
١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٢١٣).

والواقع أن القصص القرآني للأنبياء، وقصص الصحابة أيضاً
ذاخرة بالدروس المستفادة في مجال تخصيص الوقت واستخدامه
بأسلوب رشيد وفعال، لكننا نفضل الاكتفاء بذلك القدر حتى نتاح لنا
أيضاً فرصة التعرف على ما يمكن أن يكون قد ورد بالتراث الفكري
الإسلامي القديم من أفكار متميزة في المجال المعنى. ذلك ما نود إلقاء
بعض الضوء عليه في الجزء التالي والأخير من استعراضنا لبعض الزوايا
الهامة للوقت وفقاً للمنظور الإسلامي النموذجي.

٧/٣: الوقت في التراث الفكري الإسلامي: في حدود معلوماتنا

وما توصلنا إليه من نتائج بحثية في ذلك المجال، لوحظ عدم وجود
دراسة موجهة بعينها للبحث في مجال الوقت، وإن تم التعرض إليه،
فيكون ذلك كنقطة تعرض - ضمناً - بين نقاط أو مجالات بحثية أخرى،
لذلك فقد وجدنا صعوبة في استنباط نقاط متميزة حول الوقت مما
تعرفنا عليه من نماذج الدراسات الفكرية المعنية مثل تلك المتعلقة بابن
سينا وأحمد بن علي الدجلى ومحمد بن الحسن الشيباني وجعفر بن علي
الدمشقي... الخ.

ومع هذا، فإن هناك بعض النقاط ذات التوجيهات الإرشادية
المفيدة حول الوقت التي تمكننا من التقاطها من مجموعة الدراسات
التراثية ونوجزها فيما يلي:

(١) الماوردى: التقسيم الاقتصادى للوقت كأسلوب لتحسين كفاءة العمالة: والمفكر هنا هو أبو الحسن الماوردى الذى ولد فى عام ٣٦٤هـ/٩٧٤م فى البصرة وعاش فى أزهى عصور الثقافة الإسلامية فى العصر العباسى الثانى، وكان من اهتماماته الفكرية كيفية تحسين الكفاءة الإنتاجية للعمالة وكيفية رفع أدائها. ولقد اعتبر التقسيم الاقتصادى الرشيد للوقت من أهم العوامل المساعدة على تحقيق الهدف المنشود. حيث يتضح من فكر الماوردى أنه يجب إعطاء العامل أوقات للراحة فى أثناء ساعات العمل اليومية وذلك بالإضافة إلى ضرورة منحه أوقات عطلة دورية. ويرى الماوردى أن المسلم لا يجب أن يكون لديه وقت فراغ بحيث يكون حراً تماماً فى كيفية قضائه حتى إن كان ذلك الوقت هو أوقات الراحة والعطلة التى دعا بوجود منحها للعامل. وبناء عليه، فلم يوص الماوردى بأن يستغل العامل أوقات العطلة والتوقف المسموح به عن العمل فى اللهو أو فى السكون التام (وهو ما يسمى بلغة العصر الاسترخاء)، إنما نصح الماوردى بأن يستغل العامل ذلك الوقت المقتطع من أوقات العمل فى تثقيف نفسه وفى زيادة خبراته ومهاراته بتحصيل العلم، حيث أن ذلك يضمن له تطوير مداركه وخبراته باستمرار، وبالتالي فهو يقيه من شر الاستغناء عنه من قبل صاحب العمل طالما أن عطاءه سيكون مستمراً.. ومتجدداً. وفى ذلك يقول الماوردى نصاً: «فليس كل الوقت وقت اكتساب، فلا بد للمكتسب من أوقات استراحة وأيام عطلة. ومن كانت عطلته فى تحصيل العلم فقد نجا».

وهو هنا يتفق - عرضاً - مع الشيباني في رفضه تخصيص كل وقت الإنسان في عملية التكسب فقط؛ وفي ضرورة تخصيص جزء من الوقت لممارسة أنشطة أخرى مفيدة مثل تحصيل العلم (المزيد من التفاصيل ارجع إلى: زينب الأشوح، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

(٢) ابن خلدون: خروج الأشياء من القوة إلى الفعل يتطلب

زمنًا: ففي حديث ذلك العالم الموسوعي عن الصناعة وتحليله لما يتعلق بها من جوانب وأبعاد (عبد الرحمن بن خلدون، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٣١٥)، أوضح الأهمية البالغة للعلم في تقدم الصناعة في أي مجتمع، وذكر أنه: «على قدر جودة التعليم ومَلَكة المَعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته، وأوضح أن تلك الصناعات منها البسيط (وهو ما يختص بالضروريات) ومنها المركب (وهو ما يختص بالكماليات). ونتيجة لارتباط درجة تقدم الصناعة بالتعليم فإن الصناعات البسيطة (المتعلقة بالضروريات) يكون قدر التعليم المرتبط بها (أو القائمة عليه) بسيطاً نسبياً، ويوضح ابن خلدون «كيف أن الزيادة التدريجية في العلم والمعرفة تنتقل بتلك الصناعات تدريجياً إلى الأكثر تركيباً وتعقيداً وتقدماً، وأن ذلك لا يحدث إلا عبر فترات زمنية ممتدة حيث ينتهي الحال بعد حد زمني فاصل منها إلى انطلاق الصناعة نحو التقدم الراقى الشامل. وفي ذلك يقول ابن خلدون «ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل، بالاستنباط شيئاً فشيئاً على التدرج، حتى تكمل، ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في

أزمان وأجيال، إذ أن خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة، لاسيما في الأمور الصناعية، فلا بد له إذن من زمان».

(٣) ابن خلدون: مرحلة الفراغ هي آخر الأطوار الزمنية

لاستبداد ذوى السلطان: ومن ذلك المنظور المتميز، نجد أن ابن خلدون يقرر أن كل دولة تنتقل عبر الزمن- إلى أطوار مختلفة وحالات متجددة يتأثر بها أهلها أيضاً فتختلف أحوالهم وأخلاقهم تبعاً لذلك. وقد قسم أطوار الدولة إلى خمسة أطوار يرى أن الدولة غالباً ما تمر بها: الطور الأول: طور الظفر والنصر والاستيلاء على الملك؛ والطور الثانى: طور الاستبداد على القوم وانفراد أصحاب الحكم والنفوذ بالملك. أما الطور الثالث فهو الذى يعيننا حيث يوضح ابن خلدون أنه طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر إليه مثل الميل إلى تحصيل المال وتخليد الآثار والتوسع فى الضرائب وتشيد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهيكل المرتفعة...

ويتضح لنا أن المقصود من كلمة الفراغ التى اعتبرها ابن خلدون مؤشراً على الطور الثالث للدولة يختلف تماماً عما اعتدنا فهمه من ذات الكلمة فى الأمور المعتادة لأن الفراغ هنا لا يعنى التوقف عن العمل التكميلى والمعيشى والتحصيلى، بل يبدو أنه يقصد به التفرغ لتحصيل الأموال وسلب الممتلكات من الغير بدليل أن ابن خلدون ذكر فى نهاية حديثه عن ذلك الطور بأنه: «آخر أطوار الاستبداد من أصحاب الدولة، لأنهم فى هذه الأطوار كلها مستقلون بآرائهم، بانون

لعزهم، موضحون الطرق لمن بعدهم» (ابن خلدون، المرجع السابق، ص ١٣٩). ويستدل على صحة ذلك المعنى البديل لما تدل عليه كلمة الفراغ المستخدمة هنا أن ابن خلدون ذكر أنه في الطور الرابع يحدث القنوع والمسألة والاكتفاء بالاعتداء بمن سبقهم بينما في الطور الخامس والأخير يحدث الإسراف والتبذير والتخريب لما تم التفرغ لجمعه وحصاده بشكل مكثف في الطور الثالث مما يؤدي إلى نهاية الدولة وتدهور أحوال مواطنيها.

(٤) الراغب الأصفهاني: الفراغ معول هدم للكيان البشري

الصحيح: هذا العالم عاش في القرن الخامس الهجري بين أصفهان وبغداد وكان من أئمة السنة ومن أهم كتبه الذريعة والمفردات (شوقي دنيا، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، الكتاب الثالث، ص ١٩). وقد ورد ذكره للأثر السلبي لوقت الفراغ في معرض حديثه عن البطالة واستهجانها لاعتبارها أمر متعارض مع الفطرة الإنسانية وقد ربط ما بين حدوث البطالة وبين مفهوم (الفراغ) الذي اعتبره «يطل الهيئات الإنسانية» كما حذر من تكاسل الإنسان وعزوفه عن العمل والنشاط لأن في ذلك تعطيل لقدرات الأعضاء البشرية عن أداء وظائفها التي خلقها الله من أجلها، واعتبر أن العمل والنشاط فيهما تحريك طبيعي لتلك الأعضاء أما التكاسل والركن إلى الفراغ والراحة فإن ذلك من شأنه أن يقضى على كل ما يملك الإنسان ويتمتع به من قدرات وقوى مادية ومعنوية، ولقد ذكر الراغب في ذم الفراغ واستهجان طلب الراحة

والتحذير من ذلك مقولة مشهورة يمكن بحق أن تصبح قولاً مأثوراً سهل التداول بين ألسنة الحكماء حيث كان مما قال في هذا الشأن: «وأن من تعود الكسل ومال إلى الراحة، فقد الراحة» (شوقى دنيا، المرجع السابق، ص ٣٧).

(٥) أقوال مأثورة عن أهمية الوقت: وعلى ذكر كلمة الأصفهاني التي انتهينا بعرضها توفياً، نود أن نختم ذلك العرض الموجز ببعض الأقوال الموجزة للسلف الصالح، والتي يمكن أن تنطوي على إشارات وإرشادات فعالة حول الوقت أكثر قيمة وأعمق مغزى مما قد يشار إليه في صفحات متعددة.

- في الأثر: أن نوحاً عليه السلام جاءه ملك الموت قائلاً: يا أطول الأنبياء عمراً: كيف وجدت الدنيا؟ فقال: وجدت أنها لها بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

- «إن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، والله حق بالليل لا يقبله بالنهار» (أبو بكر الصديق).

- «إلى لأكره أن أجد أحدكم سهيلاً، لا في عمل الدنيا، ولا في عمل الآخرة» (عمر بن الخطاب).

- «يا ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم، ذهب بعضك» (الحسن البصرى)

- «أدركت أقواماً كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه» (الحسن البصرى)

ويقصد بذلك القول الرائع: أن العمر إذا ضاع فأت ولم يعد ولا يمكن تعويضه، عكس الدرهم إذا ضاع يوماً وارتحل، فيمكن له أن يعود ويتم تعويضه.

- «والوقت أنفس ما عنيت بحفظه... وأراه أسهل ما عليك يضيع» (الوزير ابن هبيرة).

- «إذا مضى يوم ولم أطلع يوماً... فما ذاك من عمرى» (غير معروف اسم قائله).

ويقصد بذلك أنه إذا جاء على المرء يوم ولم يضع فيه معروفاً أو يزداد علماً، فهو يوم غير محسوب من عمره.

- «إضاعة الوقت من علامات المقت» (غير معروف اسم قائله).

(الأقوال السابقة مأخوذة من كتاب الوقت بين حرص السلف وتفريط الخلف لأبى محمد البيلاوى).

ونريد أن نختم تلك الأقوال الماثورة بمسك فاح من قول لعمر بن الخطاب، حيث يتضح من كلماته الموجزة المعبرة بعض الإرشادات الهامة لقضاء وقت الفراغ بشكل إيجابى فعال حيث كان هو دائماً يفعل، فقد كان يهتم بممارسة الرياضة والمصارعة والفروسية بالإضافة

إلى تفقده بنفسه لأحوال الرعية وسعيه في مساعدتهم (عباس العقاد،
١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٢١٣).

ففى كيفية قضاء وقت الفراغ يقول عمر بن الخطاب رضي :
«علموا أولادكم السباحة والفروسية، ورووهم ما سار من المثل
وَجَسَنَ من الشعر»، كما يقول: «لن تخور قوى مادام صاحبها ينزع
ويغزو» (أى يرمى بالقوس، ويركب ظهر الخيل بغير ركاب)، (عباس
العقاد، المرجع السابق، ص ٢١٣).

وبعد أن انتهينا من تقديم المنظورين الوضعى والإسلامى لعنصر
الوقت وتوضيح كيفية معالجة كل من الجانبين له، أصبح من الواضح
— بما لاشك فيه أن الوقت لا يمثل أساساً حياة الإنسان فحسب. بل إنه
يمثل أيضاً روح العلم الشامل؛ وجوهر النظرية الاقتصادية وما يتشعب
منها من قوانين وفروض ومسلمات وسياسات وغيرها من أبعاد
وجوانب ومكونات. وقد لا نكون مبالغين إذا قررنا أن الوقت وكيفية
تخصيصه واستغلاله يعتبر أحد المؤشرات الجوهرية التى تفصل ما بين
مجموعة الدول المتقدمة (التي تحسن استغلاله)، وبين الدول المتخلفة
(التي تجهل أهميته أساساً)، وكذلك فهو يفصل ما بين الفئات البشرية
المادية (الذين يركزون استغلالهم للوقت على الأمور المادية والديوية
فقط)، والفئات البشرية ذات الصلات الوثيقة بخالقهم عز وجل (حيث
يعتبرون وقت العبادات من أساسيات حياتهم).

وقبل أن نوصى بإعادة النظر في كل النظريات الاقتصادية، بل والنظريات العلمية على إطلاقها وإعادة ترتيبها بعد إدخال الوقت كعامل مشترك حتمى فى مكونات أى منها، نود أن نبدأ تَوَّافى الجزء الختامى التالى بمحاولة لاستنباط بعض القواعد والفروض والمسلمات التى يمكن أن نستقها مما تم عرضه وتقديمه عبر الصفحات الماضية، آمليين بذلك تقديم بعض اللبانات التى يمكن أن تساهم فى إرساء بعض الأسس المبدئية لنظرية شاملة متكاملة حول الوقت تقوم على الاجتهاد العقلى البشرى، ويتم تدعيمها وصلقلها بالتوجيه الإسلامى النموذجى.

خاتمة، وبعض التصورات المقترحة: رؤية وضعية منقحة بالتوجيه

الإسلامى

بالرجوع إلى كل ما تم سرده حول الوقت والجوانب والمتضمنات المتعلقة به، أصبحنا نتصور كل إنسان بشرى وكأنه سجل يتكون من صفحات بيضاء تمثل عدد لحظات عمره على أرض الحياة الدنيا؛ حيث يصبح لزاماً على كل إنسان أن يملأ تلك الصفحات البيضاء الفارغة. ولاشك فى أن كل شخص سوف يختلف عن الآخر فى كيفية ملء تلك الصفحات، وفى الزمن الذى سيستغرقه من أجل إتمام ذلك العمل. وقد نجد كثيراً من الكسولين أو المهملين دائمي التأجيل لعملية ملأ الفراغات المستهدفة فى صفحات حياتهم، أو أنهم يتركون كثيراً من تلك الصفحات بيضاء كما هى كلها أو فى مساحات متفاوتة منها؛

كما أن بعض العازفين عن الإبداع أو بذل أى مجهود ذى قيمة إيجابية يمكن أن يلجأ إلى (الشحبة) العشوائية باعتبارها أسرع وأسهل وسيلة لملا تلك الصفحات بدون بذل أى مجهود فى تهذيب وتنقيح ما يفعل. فكل همه هو إعفاء نفسه من مغبة اللوم والعتاب لعدم إنجاز المطلوب منه.

وبالاقتراب بشكل أكبر من أرض الواقع الحقيقى، وتطبيق تصورنا الخيالى على ما يمكنه أن يحدث عليها من قبل البشر. يمكن أن نقول أن لكل إنسان بشرى كتاب يخصه حيث تسجل فيه كل أعماله وسلوكياته ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (الاسراء: ١٣، ١٤). ولن يستطيع أى إنسان الإفلات من احاسبة على ما تم تسجيله في كتابه هذا من كل صغيرة وكبيرة فى حياته ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (الكهف: جزء من الآية ٤٩).

وعلى الرغم من عدم وجود نظرية علمية مخصصة بعينها للوقت، خاصة فى مجال الدراسات الاقتصادية؛ إلا أن العرض السابق يكشف عن كنوز فكرية ثرية حول ذلك العنصر الجوهرى فى حياة الإنسان. تصلح لتوفير ركائز وأسس لعدد من النظريات المختلفة المتعلقة بالوقت. وفيما يلى، بعض التصورات المقترحة حول النظريات التى يمكن صياغتها ونسج مكوناتها فى مجال الوقت، استرشاداً بالتوجيه

الإسلامى ذى الطبيعة النموذجية، وذلك على ضوء ما تم سرده إجمالاً من بيانات ومعلومات.

أولاً، بالرجوع إلى ما تم عرضه فى تلك الدراسة الجارية، اتضح أن الوقت لم يأخذ حظه بالدراسة المتعمقة فى علم الاقتصاد كأحد المتغيرات الداخلة فى العلاقات الاقتصادية الدالية المعروفة (كما فى حالة استبعاده، بل وعدم التعرض له على الإطلاق كأحد العوامل المؤثرة على العرض والطلب)؛ وتم تجاهله خطأً باعتباره ضمن مجموعة عوامل الإنتاج المتعارف عليها فى العرف الاقتصادى (الأرض والعمل ورأس المال والتنظيم) ولم يستخدم أبداً كأحد مدخلات أو مخرجات أى عملية إنتاجية... الخ.

وتصحيح ذلك الوضع لا يقتضى فقط إدخاله فى الاعتبار الدراسى والتحليلى فيما تم ذكره من الحالات السابقة، وما شابهها، بل إننا نؤكد على أهمية إعادة النظر فى كل النظريات والقوانين الاقتصادية وإدخال عنصر الوقت كعامل مشترك أعظم فى كل تلك النظريات والقوانين، ليس كعامل أو كعنصر مساعد أو تنظيمى أو تصنيفى أو كأحد المعطيات، ولكن يجب أن يعالج ويعامل كأحد المتغيرات الأساسية الداخلة فى أى نموذج أو فى أى علاقة دالية.

ثانياً، نحو نظرية يستهدف بناؤها عن التخصيص الأمثل للوقت وفقاً للمجموعات المزدوجة: فعلى ضوء ما تم توضيحه سابقاً من تخصيص الوقت من المنظور الوضعى؛ ووفقاً للتوجيه الإسلامى، لوحظ

أن هناك مجموعات من الأفعال والأعمال يمكن أن تنكافأ في أهميتها كقائمة واحدة، بينما تختلف عن نظيرتها المتعلقة بمجموعات أخرى من الأفعال والأعمال المعنية. ولدواعي الشمولية ووضع التصنيف وتناغمه، نقترح أن يتم تصنيف الأعمال والأفعال السائد قيام الإنسان بها كقوائم مزدوجة الأوجه وإدراج تلك الفئات وفقاً للأهمية النسبية لها بدءاً بالأهم الذي يجب تخصيص نسبة أكبر من وقت الإنسان له فالأقل، فالأقل أهمية وذلك كما يتضح من التصنيف التالي:

(١) أداء الفروض التعبدية/ العمل من أجل التكسب

الضروري: وجهان لعملة واحدة أساسية بالدرجة الأولى في أولويات وقت الإنسان، فبدون تحقق الوجه الأول يعاقب الإنسان ويتعرض للهلاك الأخرى، بينما يتعرض المقصر في إنجاز متطلبات الوجه الثاني لمخاطر الهلاك الدنيوي.

(٢) الطعام والشراب؛ الحاجات الشخصية والنظافة؛ النوم/

رعاية أفراد الأسرة خاصة صغارها: كلها ضرورات لا يمكن تجاهلها. ولا بد أن تتزامن مع الفئة السابقة بحيث يمكن تخصيص وقت أساسي كاف وشبه ثابت لها جميعها، مع ضرورة توزيع ذلك الوقت فيما بين تلك البنود المختلفة على أساس النسبة والتناسب وفقاً للمتطلبات الزمنية المتباينة فيما بينها.

(٣) التواصل مع الغير/ وأداء النوافل: فتلك المجموعة من

الأفعال ضرورية في حياة الإنسان ولكنها أقل في درجة إلحاحها

مقارنة بالجموعتين المزدوجتين المدرجتين سابقاً: وفي نفس الوقت فإن العنصرين المدرجين فى الفئة المزدوجة الحالية لهما نفس الدرجة المتكافئة من الأهمية. فالتواصل مع الناس مثل صلة الرحم والسعى فى مساعدة الناس وأداء أمورهم يساعد الإنسان فى الاحتفاظ التوازنى الطبعى فى الحياة كإنسان (اجتماعى بطبعه). أما أداء النوافل فهو ضرورى لتدعيم الفروض ولتعويض ما قد يحدث من نقص وقصور فى أدائها كلها أو بعضها، كما أن ذلك يتيح للإنسان فرصة تحسين موقفه الأخرى.

(٤) ممارسات لتحسين القدرات/ اللهو والرفيه الإيجابى: حيث

يتمثل الشق الأول فى كل ما يمكن أن يفعله الإنسان بشكل يساهم فى تحسين قدراته البدنية والذهنية والنفسية أو أى منها، مثل الحال فى ممارسة أنشطة رياضية مختلفة، أو ممارسة هوايات أخرى بناءة كالأعمال الفنية المفيدة والتعليم والثقافة والإطلاع... أما الشق الثانى فيتكافأ مع الأول فى الأهمية لأنه ينطوى على ذات الأهمية التأثيرية وإن كان ذلك يحدث فى تلك الحالة بشكل مختلف حيث يقوم الإنسان هنا بممارسة سلوكيات ترفيحية مباحة على نحو ما تم توضيحه من قبل.

وبطبيعة الحال، فإنه يمكن إضافة مجموعات ازدواجية أخرى على نفس النهج السابق بشرط الالتزام بثلاثة شروط أساسية؛ أولها أن يكون كل ما يدرج متوافقاً مع المنظور الشرعى وضوابطه وأحكامه؛ ويتمثل ثانياً فى أن يكون ذلك من الأمور الإيجابية الدافعة للإنسان

قدماً إلى دنيا التقدم والسعادة؛ مع ضمان المحافظة على الوضع التوازني الاجتماعي للإنسان مع غيره من البشر والمخلوقات كشرط ثالث.

ثالثاً: نحو نظرية اللهو والرفيه المباح؛ أو نظرية الفراغ المشغول؛
أو نظرية الفراغ غير الضائع: فكما لاحظنا من العرض السابق، نجد أن هناك تبايناً كبيراً في رأى العلم الوضعي الذي ينظر إلى وقت الفراغ على أنه وقت (حر) يمكن للإنسان أن يقضيه وفقاً لأهوائه ولرغباته الشخصية البحتة بشكل مطلق، بينما يعتبر ذلك الوقت في نظر الإسلام جزءاً لا يتجزأ من وقت الإنسان الإجمالي الذي سيحاسب على ما يفعله في خلاله.

غير أننا يمكن أن نستنبط قاعدة مشتركة يقبلها كل من المنظرين ويمكن أن تستخدم كأحدى مسلمات النظرية المعنية في مقامنا الحالي. تلك القاعدة هي: أن الفرد حر في كيفية توزيع الوقت المتاح له (المتبقى بعد وقت إنجاز الضرورات) بين الأوجه الإيجابية (فقط) لاستثماره، لكنه ليس حراً في إهدار ذلك الوقت المتاح أو في تعدى الضوابط الشرعية والقوانين التشريعية التي تمثل حدوداً صارمة يجب على المرء ألا يتخطاها وإلا انتقل به الحال إلى الوجه العقيم أو السلبي لكيفية قضاء الوقت واستغلاله. وتنطبق تلك القاعدة على كل الوقت المتاح للإنسان متضمناً ما قد يتاح له من وقت فراغ.

وهناك مسلمة أخرى لا بد من الاعتراف بها وإقرارها وهي تتمثل في «أن وقت الفراغ هو جزء من الموارد الاقتصادية النادرة ذات

الأهمية البالغة فى حياة الإنسان». وذلك استرشاداً بالحديث الشريف: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٧٧٨). وبناء عليه، فلا بد من إدراج ذلك الوقت فى قائمة المتاح الكلى للإنسان من وقت يتمثل أصلاً فى سنوات عمره ولحظاتها، وبالتالي يجب على الإنسان أن يدرج ذلك النوع من الوقت فى قائمة توزيعاته وتخصصاته للوقت الكلى بين الاستخدامات المختلفة.

وعلى ضوء ما سبق، فإن أى جزء مقتطع من ذلك النوع من الوقت يتم قضائه بشكل سلبى أو فى اللاشئى يجب أن يعتبر وقتاً (ضائعاً) مثله فى ذلك مثل الحال فى معالجته بالنسبة للوقت التكميى تماماً. فالفراغ فى الإسلام لا يعنى أبداً خلواً من المسؤوليات والتكليفات والسلوكيات والأنشطة الإيجابية، إنما يعنى كيفية قضاء الوقت المتبقى (بعد المخصص بصفة أولوية وأساسية للضروريات المعيشية والحياتية من عبادات ومستلزمات المحافظة على النفس) بشكل إيجابى وفعال ودافع للنفس وللآخرين وبحيث يساهم بفعالية فى تحسين أحوال الفرد والآخرين وفى مساعدتهم على القيام بالرسالة الأساسية للتواجد على الأرض وهى التعداد إلى الله والخلافة القومية على الأرض بمن فيها.

رابعاً: نحو نظرية الوقت الفعال؛ والوقت العقيم/ السلبى:
واستطراداً للنقطة السابقة فإنه يجب التمييز بين صنفين رئيسيين من

وقت الإنسان، وقتاً فعالاً يتم قضاؤه فى إنجاز عمل أو فعل يتيح للإنسان فرصة تحسين أحواله الدنيوية أو فرصة زيادة ميزان حسناته الأخروية؛ ووقتاً عقيماً أو سلبياً سيحاسب الإنسان ويعاقب عليه بدرجات متفاوتة لأنه فى حالة عدم إنجازه لأى شئ مفيد يكون بذلك قد أهدر جزءاً من المتاح له من مورد الوقت، أما إن قضى بعض وقته فى القيام بأعمال سلبية (عادة منحرفة) فتصبح المصيبة أعظم. والإنسان فى تلك الحالة ليس مخيراً فى العمل أو عدم العمل فى أثناء أوقات حياته، بل هو مأمور بالعمل فى كل لحظة يستطيعها وذلك كما أوضحنا فى جزء سابق عملاً بالحديث الشريف الذى بوضوح أن الإنسان يسأل عن كل لحظة فى عمره كيف قضاها (عن عمره فيما أفناه).

وكما ذكرنا عليه، فإن أى وقت لا يتم قضاؤه بشكل إيجابى يصبح وقتاً ضائعاً يحاسب عليه الإنسان، وقد اقترح العالم «ناييج» استخدام (الساعة الدقيقة) لتدنية الوقت الضائع (الذى يرفضه العلم الوضعى أيضاً ولكن رفضه هنا يقتصر على الوقت المتعلق بالعمل التكسبى)، بينما يقدم لنا الحديث النبوى الشريف مؤشراً أفضل وأكثر دقة لتحديد الوقت الضائع ويؤكد على ضرورة تدنيته إلى الصفر طالما أن الإنسان سوف يسأل عن (عمره فيما أفناه) وعن (شبابه فيما أبلاه).

وبناء على ما سبق، فإن نظرية الوقت الفعال والوقت العقيم المقترحة تقوم على عدة مسلمات لا جدال فيها أولها يتلخص فى أن

كل لحظة من عمر الإنسان إما أن تحسب له (في حالة قيامه فيها بأى عمل أو سلوك أو نشاط إيجابى وفعال له وللآخرين)؛ أو أن تحسب عليه (وذلك فى حالة تفويتها بدون القيام بما سبق، أو فى حالة قضائها فى أمور سلبية أو ضارة بالذات أو بالآخرين مثل الإدمان أو اللهو غير المباح).

أما المسلمة الثانية فتقوم على أساس أن الوقت الضائع لا يشمل فقط الأجازات وأيام العطلة المقتطعة من وقت العمل الرسمى أو التكميلى الخاص (كما يتضح من المنظور الوضعى المبين فى ٤/٢ من الدراسة الحالية)؛ لكن يجب أن يتم أخذ كل الأوقات التى يجيهاها الإنسان فى الاعتبار. مع ضرورة مراعاة تباين الظروف والحالات التى يمكن أن تؤثر على نمطية قضاء الوقت والأشكال المختلفة له، وذلك نتيجة للاختلاف فى النوع والسن والحالة الاجتماعية والحالة الصحية والحالة الذهنية إلى آخره من العوامل الخارجية التى يمكن أن تتداخل فى تأثيراتها على كيفية تخصيص الوقت وقضائه من ناحية، وعلى درجات محاسبة الإنسان على ذلك من ناحية أخرى.

وهناك أيضاً مسلمة ثالثة تعتبر الوقت إيجابياً طالما قضاه الإنسان فى إنجاز عمل أو سلوك مفيد ليس فقط للذات أو لغيره من البشر، بل حتى إن كان ذلك العمل أو السلوك مفيداً للكائنات الأخرى النافعة، حتى مع الحيوانات التى يعتقد أنها جهاد مع أنها تشعر وتتفاعل ولكن على طريقته الخاصة. ويستدل على ذلك بقصة دخول مسلم من

السابقين اللجنة نتيجة عطفه على كلب ضال ظامئ وتقديم الماء إليه في خفه أو في حذائه.

خامساً: نحو نظرية الوقت المميز: فقد اتضح مما سبق أن هناك وقتاً مميزاً من اليوم إما في الصباح الباكر أو في آخر الليل. واعتبر أصحاب ذلك الرأي (جيتيندرا ميشرا Jitendra Mishra وبرابها كراميسرا Prabhakra Misra). أن ذلك الوقت المميز في خلال اليوم الواحد يقدر بنحو ساعة أو ساعتين حيث يمكن للإنسان في خلاله القيام بأكثر الأعمال والمهام أهمية وارتباطاً بأهدافه الجوهرية.

والموقع أن هذين العالمين لم يأتيا بجديد، حيث أن الإسلام قد سبقهما بالإشارة إلى وجود ذلك الوقت المميز الذي يكون في الفجر (في الصباح الباكر) وفي النصف الأخير من الليل (في آخر الليل) كما ذكر المؤلفان. ولقد شجع الإسلام على الاستيقاظ والتعبد في الثلث الأخير من الليل حيث ينزل الله سبحانه وتعالى للعباد ويستجيب لأدعيتهم، بينما حث الإسلام على ضرورة المحافظة على أداء صلاة الفجر وجعلها (قرآناً مشهوداً). وكما اتضح مما عرضناه في هذا الصدد فإن يوم المسلم عادة ما يبدأ بعد أداء تلك الصلاة الفاتحة ليوم جديد، حيث أن أفضل وقت مميز للبدء في النشاط الشاق أو التكمسي هو الصباح الباكر وذلك استرشاداً بالحديث الشريف: «بورك لأمتي في بكورها» (صحيح الجامع الصغير، ج ١، ٢٨٤١).

وبناء على ما سبق، نؤكد على أهمية صياغة نظرية زمنية شاملة يمكن أن يطلق عليها نظرية الوقت المميز أو المتميز، بحيث تشمل النوع المتميز من الأوقات ليست فقط الموجهة للعمل التكسيبي أو التعليمي، ولكن أيضاً للتعبد والنوم والترفيه وللتواصل مع الآخرين... الخ.

وبكلمات أخرى، فإن النظرية المقترحة هنا، يجب أن تقوم على أساس شمولية أعمال الإنسان الجادة والترفيهية وتوزيع وقت الإنسان بين تلك الأعمال المختلفة وفقاً للوقت المميز المناسب لكل فئة متميزة من تلك الأعمال، وبالرجوع إلى طيات البحث يمكن العثور على أصناف أخرى من الوقت المميز لبعض الأنماط الأخرى من السلوكيات والأفعال.

سادساً: نحو نظرية الوقت النسائي: وهنا نوصي بشدة بأن تتم صياغة نظرية منفردة تتعلق بمعالجة الوقت المرتبط بالمرأة حيث أن المرأة تعيش وضعاً مختلفاً في الحالات الطبيعية عن نظيره بالنسبة للرجل. ويجب أن تقوم تلك النظرية على عدة مسلمات تتمثل في:

- أن المرأة يجب أن تخصص الوقت الأساسي في حياتها لرعاية أسرتها وزوجها:

وتقوم تلك النظرية على افتراض أن المرأة العاملة تحظى بوقت فراغ أقل مما يحظى به الرجل نتيجة لأخطبوطية المهام التي تلتزم بالقيام

بها فى ثلاث قنوات: العمل المنزلى؛ رعاية أفراد الأسرة؛ والعمل خارج المنزل.

- وفرضية أخرى أن المرأة التى تعمل داخل المنزل يمكن أن تتشابه أوضاعها مع تلك التى لا تعمل وذلك نتيجة لتداخل ما تقوم به من مهام داخل نفس الحيز المكانى.

- وفرضية ثالثة: أن المرأة التى لا تساهم فى القوة العاملة تتعادل أوضاعها الزمنية مع الرجل العامل خارج المنزل حيث يقوم هو بمهمة العمل الخارجى وتوفير المقتضيات التمويلية لأفراد الأسرة بينما تعفى هى من تلك المهمة ولكنها تقوم فى المقابل برعاية أفراد الأسرة حيث يتم ذلك فى مجال عمل مختلف عن مجال عمل الرجل ولكنه يحدث فى داخل المنزل.

سابعاً: الساعة التعبدية كبديل للساعة البيولوجية: وفى النهاية. نود التأكيد على ضرورة استخدام العبادات كعامل توقيتى منظم. حيث أنها خاصة المفروضة منها. تتم فى أوقات ثابتة محددة وعلى فترات دورية معروفة، وبالتالى فهى يمكن أن تصبح بمثابة عقارب للساعة السلوكية للبشر. وبدلاً من تداول مفهوم الساعة البيولوجية للإنسان والتعامل على أساسه، فمن الأفضل والأكثر ملاءمة للإنسان وضمناً لتعظيم منافعه الدنيوية والأخروية، أن تستخدم كبديل الساعة التعبدية. وما من شك فى أن إمكانية تنفيذ ذلك الاقتراح وتعميمه استخدام الساعة التعبدية النموذجية يتوقف بشكل كبير على النظام

الاجتماعى الكلى الذى تتحدد من خلاله أوقات العمل الرسمية، وكذا أوقات الراحة وأوقات العطلة الرسمية. حيث أن مثل تلك الأوقات الرسمية يمكن أن تُعرقل تطبيق نظام الساعة التعبدية إذا ما كانت تلك الأوقات الرسمية للعمل وللعطلات تتعارض مع أوقات العبادة الأساسية أو تتجاهلها فى عملية التخصيص الملائمة للوقت وتوزيعه على البنود المختلفة.

نحو نظرية الاستغلال الإيجابى للوقت: وهى تقوم على مسلمة أساسية تتمثل فى أن الاستغلال الإيجابى للوقت هو ذلك الذى يتم توزيعه بكفاءة بين أربعة قنوات أو أهداف: تقوية البدن، تقوية الروح، تقوية العقل، وتحسين الحالة المعنوية.

وأخيراً، وليس بآخر- نكرر دعوتنا لعلماء الاقتصاد والباحثين فى مجالاته المختلفة بضرورة أخذ الوقت كعامل مشترك أعظم فى كل الأبحاث والتحليلات وفى مراعاة المعالجة الإسلامية النموذجية له .. ولنتذكر جميعنا أن الوقت هو الحياة، وأنه مستمر الانقضاء، وأنه لا رجعة لما ذهب منه!